الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمّة لخضر – الوادي–

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

شعبة العلوم الإسلامية

الحركة الإصلاحية بوادي سوف
من 1931م إلى 1939م.

مذكرة مكملة لنيل شهادة الليسانس في العلوم الإسلامية تخصص دعوة وإعلام واتصال.

من إعداد الطالبات :

– الزهرة شليق

– رزيقة مومني

– نجاة سيد

إشراف الأستاذ :

بشير بوساحة

السّنة الجامعية :1435 . 1436 هـ / 2014 – 2015 م

ملخص الدراسة:

إن المطلع على هذه الدراسة يمكنه من خلالها التعرف على نشاط الحركة الإصلاحية في منطقة وادي سوف وعوامل نشأتها الداخلية والخارجية المتمثلة أصلا في تأثرها بـ : ((الجامعة الإسلامية . الحركة الوهابية . الصحافة المشرقية التي تناولنا منها: مجلة المنار. مجلة العروة الوثقى...)) وكذا دورها الدعوي والإعلامي في نشر الفكر الإصلاحي بالمنطقة، وبحيث في كل مرة نحاول أن نمهد بالتحدث عن الحركة الإصلاحية بالجزائر ثم نتدرج بالتحدث عنها بالتفصيل في منطقة وادي سوف, ولهذا جاءت الإشكالية كالتالي:

ما هي مميزات الحركة الإصلاحية في هذه المرحلة و كيف تعاملت مع المجتمع السوفي؟.وكيف ساهمت كل من: الطرق الصوفية، التعليم، والرحلة العلمية في نشأة الحركة الإصلاحية بالمنطقة؟ وما مدى مساهمة علماء المنطقة المصلحين في هذه الفترة(1931م . 1939م)، وتأثيرهم في الحركة الإصلاحية محليا ووطنيا؟

ولحل هذه الإشكالية جاءت خطة البحث مشتملة على مدخل تمهيدي ومبحثين.

أما المدخل التمهيدي: فيتضمن لمحة عامة عن وادي سوف من حيث: أصل تسميتها ,معالمها الجغرافية , أصولها التاريخية,و الحياة الثقافية والدينية بالمنطقة.

وفي المبحث الأول تطرقنا فيه إلى ظهور الحركة الإصلاحية بوادي سوف وعالجنا فيها عدة عناصر بداية من: مفهوم الإصلاح، ثم عوامل نشأة الحركة الإصلاحية بالجزائر الداخلية، والخارجية، وبعده تناولنا أثر ومظاهر الحركة الإصلاحية بالمنطقة, وظهور جمعية العلماء المسلمين بها.

أما المبحث الثاني فتناولنا فيه أهم أعلام الإصلاح بوادي سوف خلال فترة الدراسة (1931م . 1939م)، واخترنا أبرزهم على النحو التالي: الأمين العمودي . حمزة بوكوشة . عبد القادر الياجوري، فترجمنا شخصية كل واحد منهم وتعرضنا إلى أهم نشاطاتهم الإصلاحية.

وفي ختام هذا البحث خلصنا بخاتمة تضم أهم النتائج المتوصل إليها من خلال معالجة هذا البحث.

Study summary:

The familiar with this study through which they can identify the activity of the reform movement in the valley area and will inception factors internal and external of the already affected by:((Islamic Wahhabi movement and islamic university and est press, which we dealt with including:

magazine Al-Manar magazine and Alorwa alothka ...)), as well as its advocacy role and media in the dissemination of reformist thinking in the region, and so every time we are trying to pave the talk about reform movement in Algeria, then we start to speak in detail in the Oued souf will, but this problem was as follows:

What are the reform movement at this stage and features How did you deal with Soviet society? .how present Of all: Sufi, it contributed to education, scientific journey in the genesis of the reform movement in the region? And the extent to which reformers scientists region in this period (1931, 1939), and their influence in the reform movement locally and nationally?

To solve this problem came on the research plan containing preliminary entrance and two sections.

The primer entrance: contains an overview of the Valley will be in terms of: the origin of call, geographical features, historical origins, and cultural and religious life in the region.

In the first part, we talked to the emergence of the reform movement and the Oued souf will dealt the beginning of several elements: the concept of reform, then the emergence of the reformist movement in Algeria, internal, and external factors, and after we ate and manifestations of the impact of the reform movement in the region, and the emergence of the Muslim Scholars Association.

The second section we speak about the most important flags will reform the Valley during the study period (1931, 1939), and chose the most prominent as follows: Secretary vertical Bukushh Hamza and Abdul

ملخص الدراسة

Kader Al-yajori, we translated personal each and every one of them and we were the most important to reform their activities.

At the end of this research we concluded the most important conclusion of the results obtained by treating this search.

بسم الله الرحمن الرحيم

إهــداء

إلى الذين قال فيهما الله ﷻ: ﴿وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا..﴾ .

إلى أمي العزيزة و الحبيبة نبع الحنان والأمل...

إلى الذي شق لي طريق الحياة... إلى الذي يغمرني حبه وعطفه...إلى الذي علمني الوقار والشموخ... إذا مشيت ذكرته فاستقام المسار... إليك أبي، إليكما حفظكما الله

أهدي تعب السنين لأبعد عنكما أرق الانتظار.

إلى كل إخوتنا كل واحد باسمه... إلى جميع الأهل والأقارب دون استثناء.

إلى الأصدقاء نصيرة، مريم، إسراء، روميصاء، فاطمة، ريحانة، ثورية، سمية، عقيلة، رحمة، أنفال، هناء، هاجر، أميرة، نور الهدى، حياة... إلى كل طلبة تخصص الدعوة والإعلام والاتصال... دون استثناء نهدي هذا العمل المتواضع.

الزهرة... رزيقة... نجاة.

شكر وعرفان

من لا يشكر الناس لا يشكر الله

بعد الفراغ من هذا العمل لا يسعنا إلا أن نحمد الله عز وجل والذي منعمته تتم الصالحات والذي وفقنا في مشوارنا العلمي والبحثي، وسدد خطانا لنخرج هذا العمل المتواضع بعونه وتوفيقه، فله الحمد والشكر من المبتدى إلى المنتهى.

إذا كانت مساعدة الغير تعبر عن الفهم الجيد لكلمة إنسانية واحترامها فإننا بذلك نتقدم بجزيل الشكر إلى أستاذنا الفاضل "البشير بوساحة" الذي قدم لنا مساعدات وتوجيهات كبيرة فكان السند العظيم والموجه الحكيم في كل صغيرة وكبيرة من جزئيات العمل ونتمنى له التوفيق والنجاح الدائمين وأن يكتب الله عمله هذا في ميزان حسناته.

كما لا يفوتنا أن نشكر كل الأساتذة: مصطفى بلقاسمي، الهاشمي قروف، معمر قول، عبد الرحمان الطيبي، مصباح موساوي... على مساعدتهم لنا.

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نشكر كل من ساهم في إخراج هذا العمل المتواضع ونخص منهم عبد اللطيف خالد، حكيمة وكواك، رشيد بن مبارك.

قائمة المختصرات

الرمز	المعنى
لا.ط	لا طبعة
د.ت	بدون ذكر تاريخ
ج	الجزء
ع	العدد
ص	صفحة
هـ	هجري
م	ميلادي
لا. ن	لا ناشر
تحق	تحقيق
لا. م	لا مكان طبع

خطة البحث

مقدمة

المبحث التمهيدي: وادي سوف (لمحة عامة).

المطلب الأول: تسمية وادي سوف و موقعها الجغرافي.

المطلب الثاني: الأصول التاريخية لسكان وادي سوف.

المطلب الثالث: الحياة الدينية و الثقافية بوادي سوف.

المبحث الأول: ظهور الحركة الإصلاحية بوادي سوف.

المطلب الأول: مفهوم الإصلاح.

المطلب الثاني: عوامل نشأة الحركة الإصلاحية.

المطلب الثالث: مظاهر الحركة الإصلاحية بالمنطقة و أثرها.

المطلب الرابع: جمعية العلماء المسلمين بوادي سوف.

المبحث الثاني: أبرز أعلام الإصلاح بوادي سوف.

المطلب الأول: عبد القادر الياجوري.

المطلب الثاني: محمد الأمين العمودي.

المطلب الثالث: حمزة بوكوشة .

الخاتمة.

قائمة المصادر و المراجع.

فهرس الموضوعات

مقدمة

تعتبر الجزائر من أكثر بلدان المغرب تضررا من ويلات الاستعمار الفرنسي, فقد وجهت الإدارة الفرنسية أولى ضرباتها لتجريد الجزائر من كيانها وأصالتها, إذ حاربت اللغة وشوهت الدين الإسلامي, وأغلقت المحاكم الإسلامية وزورت التاريخ وشجعت الفكر الخرافي والشعوذة.

فكان من الطبيعي إن يقاوم الشعب الجزائري هذه السياسة تحت قيادة العلماء والفقهاء والشيوخ، فتمثل هذا في الاتجاه الإصلاحي الذي يعد احد التيارات الوطنية الهامة, التي ولدت مع نهاية العشرينات, ولذلك تعتبر ميلاد جمعية العلماء المسلمين بمثابة فاتحة لعهد جديد في مسار الجزائر المعاصرة بصفة عامة, وبوادي سوف بصفة خاصة, فالمحافظة على الميراث التاريخي الذي لعبته المنطقة, يستوجب منا جمع مآثر النضال الإصلاحي الذي قدمه هؤلاء العلماء أمثال: الأمين العمودي, حمزة بكوشة, عبد القادر الياجوري... الخ, الذين كانوا يهدفون إلى تغير حالة الفساد في المجتمع الجزائري, والبحث عن البديل الذي يليق بالأمة وكل ذالك نتج عن وعي لرجال الإصلاح, الذين كانوا يتقاسمون هموم وألام شعوبهم ويدركون الأخطار المحدقة بهم. وهذا ما دفعنا إلى اختيار هذا الموضوع, بالإضافة إلى إبراز المسيرة التاريخية التي واكبت التطورات التي عرفتها الجزائر منذ تبلور الحركة الإصلاحية, وتفاعلها بوادي سوف, محاولين بذلك الوقوف على الحقيقة التاريخية من غير تشويه ولا تحريف فضلا عن ذلك فان لبحثنا دوافع أخرى نذكر منها:

– المشاركة بهذه المساهمة المتواضعة للتعرف بالمنطقة ولإبراز دورها رغم الواقع الطبيعي الصعب والتعرف على فترة ثمينة عاشتها هذه المنطقة..

– وهو عمل أكاديمي يسهم في إثراء مكتبة الجامعة و يعرف بالمنطقة ورجالتها ويبرز دورها الوطني في الإصلاح.

وتمكن أهمية الموضوع في محاولة التعرف على مظاهر الحركة الإصلاحية وأثرها بالمنطقة ومدى مساهمة علماء سوف في الحركة الإصلاحية، رغم الطابع القاسي الذي يميز المنطقة وصعوبة التفاعلات والحركات التي هي على المستوى المحلي.

والدراسة التي قمنا بها تعود إلى فترة زمنية يمكن رصدها مابين1931م .1939م حيث تعد فترة الثلاثينيات من أهم فترات تاريخ الجزائر الحديث, فقد اشتد فيها ساعد الحركة الوطنية الجزائرية من ناحية, كما اشتدت فيها ضغوط ومحاولات الاحتلال الفرنسي في مسخ الشخصية الجزائرية بكل مقوماتها الأساسية من دين ولغة وتاريخ وثقافة وحضارة من ناحية أخرى, ومن أبرز الحركات الوطنية في الميدان التربوي, والديني والثقافي التي ظهرت في هذه الفترة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والتي تأسست في 5ماي1931م بعد أن بلغ مكوث الاستعمار الفرنسي قرنا كاملا, حيث يذكر الشيخ الإبراهيمي أنه لو

تأخر ظهور جمعية العلماء المسلمين التي تأسست عشريين سنة أخرى لما وجدنا في الجزائر من يسمع صوتنا.

بالإضافة إلى الأحداث التي شاهدتها المنطقة (أي واد سوف) سنة 1938م, فيجدر بنا أن نتتبع سيّر هاته الأحداث دون أن نغفل عن ذكر بعض نتائجها فخلال عامين متتاليين (1938م . 1939م) لم تتوقف جريدة البصائر, عن التذكير بهذه الحوادث حيث عبر ابن باديس من خلالها عن خيبة أمله في محاولة الزج بالحركة الإصلاحية في أتون السياسة, وذلك من خلال المنشور الذي بعثه الوالي العام إلى رؤساء المناطق الجنوبية, ثم علق وبيّن أنه مخالف للواقع ويشوه حقيقة جمعية العلماء المسلمين التي لم تثر ضد السلطة ولم تتدخل في شؤون الإدارة والسياسة...

والمنهج الذي اتبعناه في بحثنا هو المنهج التاريخي التحليلي الوصفي الذي يعتمد على وصف وسرد الأحداث وتحليلها تحليلا تاريخيا موضوعيا.

ومنه يمنك صياغة الإشكالية كالأتي:

ما هي مميزات الحركة الإصلاحية في هذه الفترة و كيف تعاملت مع الواقع السوفي ؟ وكيف ساهمت كل من: الطرق الصوفية, التعليم, والرحلة العلمية في نشأة الحركة الإصلاحية بالمنطقة؟ وما مدى مساهمة علماء المنطقة المصلحين في هذه الفترة (1931م . 1939م), و ما علاقتهم بجمعية العلماء المسلمين؟.

ولحل هذه الإشكالية جاءت خطة البحث مشتملة على مدخل تمهيدي ومبحثين. أما المدخل فتضمن لمحة عامة عن وادي سوف من حيث: أصل تسميتها, معالمها الجغرافية، أصولها التاريخية, والحياة الثقافية والدينية بالمنطقة.

وفي المبحث الأول تطرقنا فيه إلى ظهور الحركة الإصلاحية بوادي سوف وعالجنا فيها عدة عناصر بداية من مفهوم الإصلاح, ثم عوامل نشأة الحركة الإصلاحية بالجزائر الداخلية, والخارجية, وبعده تناولنا أثر ومظاهر الحركة الإصلاحية بالمنطقة, وظهور جمعية العلماء المسلمين بها.

أما المبحث الثاني فخصصناه لأعلام الإصلاح بوادي سوف خلال فترة الدراسة (1931م . 1939م) واخترنا أبرزهم على النحو التالي: الأمين العمودي، حمزة بوكوشة، عبد القادر الياجوري, فترجمنا شخصية كل واحد منهم كما تعرضنا إلى إبراز أهم نشاطاتهم الإصلاحية.

وفي ختام هذا البحث خلصنا بخاتمة تضم أهم النتائج المتوصل إليها من خلال معالجة هذا البحث ولإنجاز هذا العمل اعتمدنا على جملة من المصادر والمراجع المحلية نذكر منها: كتاب العدواني (تاريخ العدواني), كتاب بن محمد الساسي العوامر (الصروف في تاريخ وادي سوف), (تاريخ الجزائر الثقافي) و(الحركة الوطنية) لأبي القاسم سعد الله, بالإضافة إلى رسالة الأستاذ علي غنابزية (مجتمع وادي

سوف من خلال الوثائق المحلية في القرن 19م), ويعد من القلة الذين كتبوا حول تاريخ سوف، وكذلك مجموعة أخرى من المقالات والكتب وغيرها.

وكما نعلم فإن إنجاز مثل هكذا عمل يتطلب منا إمكانيات مادية و مجهودات معتبرة في البحث عن الكتب المحلية والوثائق الهامة خاصة في الجوانب الأساسية من هذا الموضوع, وبالرغم من ضيق الوقت وكثرة الالتزامات وقلة الإمكانيات فقد حاولنا تقسيم انجاز العمل بين الدراسة والبحث راجين من المولى عز وجل . أن نجني ثمار هذا العمل.

مبحث تمهيدي: وادي سوف (لمحة عامة)

المطلب الأول: تسمية وادي سوف وموقعها الجغرافي.

إن لكلمة وادي سوف احتمالات عديدة تم إطلاقها على هذه المنطقة ومنها ما يلي:

يقال أنه في القديم كان يجري بها وادي من الماء ومع مرور الزمن جف ماء ذلك الوادي فذهب الماء وبقية مكانه متداولا على ألسنة سكان المنطقة، ونتيجة لاضمحلال الغابات والأشجار بالجهة زحفت إليها الرمال وغطتها ومازالت تتزايد وتتراكم ومتخذة شكل كثبان يطلق عليها سكان الجهة كلمة "سيوف" ومع طول مدة التداول لهذه الكلمة حذفت الياء فصال الذاهب والآتي يقال له "ذاهب إلي سوف" أو "قادم من سوف" ومع إضافة الكلمة الأولى والثانية أصبح الاسم "وادي سوف"[1]، وقد ورد في كتاب الصروف بأن أرض سوف كانت في القديم تسمى الظاهرة، وقال القدامى: أنها سميت بذلك لأنها قطعة من الأرض ظهرت بعد أرض نفطة التونسية، حيث أنحصر عنها ماء الطوفان ثم صارت تسمى أرض سوف[2].

وقيل سميت بذلك لأن أهلها الأولين كانوا يلبسون الصوف من أغنامهم لعدم وجود غيره من المنسوجات عندهم، كما قيل أنه كان به رجل عليم، أي صاحب حكمة يسمى ذا السوف فسميت هذه الأرض به والسوف باللغة تحمل معنى العلم والحكمة[3]، كما جاء في كتاب تغريبة بني هلال:"قيل أن أهل سوف حين دخلت العرب إفريقيا دخلوها... وسوف التي ذكرها هي المكان المعروف الآن بسوف البصرى قرب مدينة حلب الشام، فلعلهم أتوا إلى هذه الأرض فسميت بهم[4]، ويضيف صاحب الصروف مقولة أخرى فيقول:"سميت نسبة للمسوفة وهي فرقة من الملثمين البرابرة"

---

[1] - سعد العامرة والجيلالي العوامر، شهداء الحرب التحريرية وادي سوف.(لا.ط، الجزائر، مطبعة النخلة، دت)، ص11-12.

[2] - ابراهيم بن محمد الساسي العاوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف. تعليق: الجيلالي بن ابراهيم العوامر، (لا.ط، تونس، الدار التونسية للنشر، 1977م)، ص95.

[3] - المرجع نفسه، ص95.

[4] - أحمد بن الطاهر منصور، الدرر المرصوف في تاريخ سوف.ج1(لا.ط، الجزائر، دار الهدى، دت)ص22.

كما قال القدماء : "حين أتى الطرود وهي قبائل أصلها عربي"[1]، بينما يرجع البعض الأخر إلى أصلها العربي، حيث أن الطرود وهي قبائل أصلها عربي حينما أتت لهذه النواحي قالت:" نسكن تلك السيوف"[2]، وهي الأحقاف والكثبان الرملية والسوف أو السائفة هي الرمل الدقيق والناعم ومن هنا اشتق اسم سوف لأنها أرض رملية،[3] و يمكن أيضا أن تكون تسمية سوف نشأت من الكلمة الأمازيغية " إيزوف " أو " أسيف " بمعنى مجرى مائي، فهذه الكلمة توافق " التيفيناغ" لغة الطوارق أي تعني النهر الأبيض.[4]

تقع منطقة وادي سوف في الجنوب الشرقي من القطر الجزائري, وهي جزء من العرق الشرقي الكبير, ويحده من الشرق نفطة ونفزاوة, وهي حدود تونسية, ثم بئر رومان وغدامس, ومن الجنوب واحات غدامس على الحدود الليبية, ومن الغرب وادي ريغ (تقرت وتماسين) بورقلة, ومن الشمال بلاد الزاب أي بسكرة لتمتد إلى جبال الأوراس والنمامشة وإلى منطقة نقرين, وتقع فلكيا بين خطي طول 6° و8°شرقا وبين دائرتي عرض 32° و34° شمالا, في حين يبلغ الامتداد من سطيل في الشمال إلى غدامس في الجنوب حوالي 620 كلم وتبلغ مساحة وادي سوف إجمالا 82.800 كلم^2[5].

وتتميز هذه المنطقة الواقعة على إرتفاع من سطح البحر يتراوح من الجنوب إلى الشمال بين 80 إلى 25م بطابعها الصحراوي وبكثبانها الرملية التي يصل ارتفاعها أحيانا إلى 100م, وبمناخ صحراوي عادة ما يكون حار نهارا وبارد ليلا, كما يطلق على عاصمة وادي سوف مدينة "ألف قبة وقبة" وهي تبعد عن مدينة بسكرة 220كلم.[6]

---

[1] ـ بن سالم بلهادف، سوف تاريخ و ثقافة. (لا. ط ، الجزائر، مطبعة الوليد، 2007م)، ص 15.
[2] ـ المرجع منفسه، ص10
[3] ـ أحمد بن الطاهر منصور، المرجع السابق، ص 22.
[4] ـ بن سالم بلهادف، المرجع السابق، ص 15.
[5] ـ سعد العمامرة و الجيلالي العوامر، المرجع السابق، ص 11.
[6] ـ البخاري حمانة، شهادات حول الثورة الجزائرية بمنطقة وادي سوف. مجلة دفاتر التاريخ، جامعة وهران، معهد علم الاجتماع، ع 3، 1989م، ص 97.

المطلب الثاني: الأصول التاريخية لسكان سوف

سكنت منطقة وادي سوف منذ القدم قبائل بدوية بربرية من زناتة بصورة خاصة, كانت تعيش على الرعي والصيد, حيث كانت هذه القبيلة تتبع تواجد المياه التي أكدت العديد من المصادر على أنها كانت متوفرة بكثرة في تلك المنطقة[1].

وإلى جانب البربر سكن هذه المنطقة كل من: الليبيين والكنعانيين والأثيوبيين والرومان والوندال والعرب, استقر الفنيقيون منتذ القرن 12م إلى القرن9م على الساحل الشمالي لإفريقيا كتجار, أما القرطاجيون فلم يتجاوزوا تبسة, فالفنيقيون كونوا علاقات مع السودان عن طريق ورجلان* فكانت لهم مبادلات مع الساحل الإفريقي حيث أن هذا الطريق يمر على العرق الشرقي مرورا بمنطقة وادي سوف, فتدفع القوافل للسوافة حق العبور,[2] كما تحدث المؤرخ الإغريقي "هيرودوت" (484 ق.م) عن قبائل "الجرمن"** التي سكنت سوف وقال: أنهم وقفوا ضد الأثيوبيين وتحدث عن قبائل بدوية ليبية استقرت في سوف[3].

كما حل الوندال في سوف حيث جاء هؤلاء نمن إسبانيا, ليلاحقوا الرومان ويحتلوا أماكنهم رغم أنهم لا يملكون وزن الرومان ولا عددهم, فأودعوا في سوف عدد منهم عاشوا في المنطقة على الزراعة وتربية الماشية, وخلال القرنين 3م–4م حطم البزنطيون الوندال واستقروا في الشمال الإفريقي وأقاموا عدة أديرة مسيحية واحدة منها في "سحبان" حيث ذكر سبعة منهم تحت تسمية قصور الرهبان*** بقمار.

كما سكن هذه المنطقة العرب الوافدون مع الصحابي عقبة بن نافع الفهري سنة 46هـ, والذين أسسوا القيروان سنة670م[4]، وكان من بين الفاتحين رجل من بني مخزوم اسمه العدواني, ولما أمر سيدنا عثمان بن عفان بعودة بني هاشم وبني مخزوم بعد الفتح

---

[1] ـ البخاري حمانة، المرجع السابق، ص 98.

*ـ ورجلان: هي منطقة ورقلة حاليا كانت تسمى بهذا الاسم قديما.

[2] ـ بن سالم بلهادف، سوف تاريخ مجيد و ثقافة أصيلة.(لا.ط، تغزوت، مطبعة الجمعية الثقافية المعارف، 2002م)، ص 3- 4.

**ـ الجرمن: فرع GERMANIE من أسرة اللغات الهندية الأوروبية و ينقسم إلى الجرمانية الشمالية و الجرمانية الغربية و الجرمانية الشرقية.منير البعلبكي، موسوعة المورد.ج4 (ط:1، بيروت، دار الملايين، 1911م). ص 208.

[3] ـ بن سالم بلهادف، المرجع السابق، ص 4.

***ـ قصور الرهبان: ذكرها العدواني العدواني في كتابه، أنه كان فيما مضى رهابين من النصارى بنى كل واحد منهم قصرا لنفسه.

[4] ـ البخاري حمانة، المرجع السابق، ص 98.

فضل العدواني البقاء بإفريقيا وتزوج امرأة أمازيغية وهنا وقع أول تصاهر بين العرب والأمازيغ وهي الملكة "تيكسي"[1]، كما حل بالمنطقة طرود عمارة والأسد بن سارية لاكتشاف المنطقة فوقعوا في قصور "عدوان" فوجدوا بها عبدا اسمه "شكر" وشيخ "هرم".

وفي سنة 800هـ/1397م قدم "الطرود" واخرجوا "عدوان" فتفرقوا في الأمصار , منهم من ذهب إلى أبناء عمومته باللجة, ومنهم من سكن بئر ليبرص, ومنهم من عمر الخنقة وغيرها من المناطق, فمكث "الطرود" 15 سنة في قصور عدوان إلى سنة 815هـ/1412م ,وعمرت سوف بعد أن قامت زينب بنت تندلة بالإخاء بين عدوان والطرود لأنهم أبناء عمومة ومنهم تفرعت كل الأنساب الأخرى بسوف.[2]

أما في العهد العثماني فكان السوافة يعيشون حياتهم الاجتماعية في استقلال تام فاختاروا لأنفسهم نظام الجماعة الذي يركز على كبار العروش والأعيان فهم يمثلون المرجعية الاجتماعية للسكان ويتأكد دورهم في الأوقات العصيبة والأوقات الحاسمة, وذلك عند التهديد الخارجي أو الخلافات أو النزاعات الداخلية أو الأعمال الجماعية الأخرى كبناء سور الوادي أو حراسة الثغور...الخ, وقد كان لكل عرش شيخ تسانده مجموعة من المشايخ, وقد كان لهذا النظام أثره الفعال في توحيد المنطقة واستقرارها وتضامن سكانها[3].

[1] ـ بن سالم بلهادف، المرجع السابق، ص 4.
[2] ـ السعيد ديدي، وادي سوف كنوز من الجزائر. (لا. ط، الوادي ، المطبعة العصرية،2002م)، ص 12.
[3] ـ المرجع نفسه، ص 12.

المطلب الثالث: الحياة الدينية والثقافية بوادي سوف

اشتهر أهل المنطقة بالحيوية والذكاء في الميدان العلمي والاقتصادي وبميل كبير للعلماء والمصلحين فاشتهروا بالتدين والأخلاق الفاضلة.

وقد كانت نسبة الثقافة عندهم مرتفعة جدا ولا فرق في ذلك بين الرجال والنساء كما كان الطابع العربي واضحا في تفكيرهم وتقاليدهم بارزا في عاداتهم وسلوكاتهم, كما كان السوافة يتميزون بالكرم والوفاء بالعهد والأمانة والغيرة على لغتهم و دينهم ووطنهم, وكل هذا نابع من نفوس طاهرة خالصة لله والوطن.

وكانت لغة التخاطب عندهم أقرب ما تكون من لغة أهل الجزيرة العربية, إذ يحس السامع في لهجتهم وأسلوب خطابهم أسلوبا قرآنيا, إيجاز في اللفظ وسمو في المعنى.

ومن المعروف أيضا عن أهل سوف تعطشهم للعلم والتعلم وتحمسهم للمبادئ الإسلامية والحركات الوطنية, فلم تخلو المنطقة عبر تاريخها المديد من علماء وفقهاء ومصلحين[1].

إن مثل هذه الشهادة التي نجد أمثالها لدى كل من تناول هذه المنطقة بالدراسة, إذ كانت تؤكد حقيقة معروفة على مستوى الجزائر بأكملها وهي الحقيقة المتمثلة في تمسك الشعب الجزائري بعقيدته وثقافته العربية الإسلامية, فإن ذلك التمسك بالعقيدة قد تأثر في هذه المنطقة وفي غيرها, فقد وجد ذلك التمسك بالعقيدة في الجزائر منذ القرن 14م بصورة خاصة في الطرق الصوفية, أدوات تعبيرية وفي زواياها أمكنة لممارساته الرافضة لكل أنواع البذخ والانحلال الاجتماعي والسياسي الذي بدأ يعرفه المغرب الإسلامي عامة, وبذلك نفهم كيف انتشرت الطرق الصوفية في تلك الفترة انتشارا كبيرا ساعدت عليه عدة عوامل من بينها:

[1] - إبراهيم بن محمد السياسي العوامر، المرجع السابق، ص 28.

تكالب الركونكيستا* (1492م) ومحاولاتها المتسمية° بالامتداد إلى أراضي المغرب الإسلامي بعد أن نجحت في القضاء نهائيا على كل وجود إسلامي في الأندلس , وعجز دويلات بني مرين وبني زيان وبني حفص في صدها بفاعلية, الأمر الذي دفع المتصوفة والزهاد إلى أن يتولوا بأنفسهم تلك الحملات كما فعل ذلك الشيخ عبد الرحمان الثعالبي في مدينة الجزائر, والشيخ محمد التواتي في مدينة بجاية, والشيخ محمد الهواري في مدينة وهران.

ونجد نفس الدور في وادي سوف الذي قامت به الطرق الصوفية والمتمثلة في الزوايا التي كانت في مقدمة المقاومين للاحتلال الفرنسي للجزائر, كما كانت بمثابة الحصون التي احتمت داخلها العقيدة الإسلامية والثقافة العربية الإسلامية بعد أن بدأ المستعمر في مطاردتها ومحاولة تدميرها, ولقد تأثرت وادي سوف منذ القرن 10م بكل التيارات الصوفية التي شهدتها الجزائر, تلك التيارات التي وجدت في المنطقة الصحراوية وما تتميز به من ميل إلى الزهد والوحدة وتقشف في العيش, ولذلك فإن الحياة الدينية والثقافية في هذه المنطقة قد تمركزت أساسا في الزوايا, ثم في الحركة الإصلاحية بعد ذلك.[1]

*- الركونكيستا: في القرن 8 - 15م أصبحت القلة من الأقاليم المسيحية ممالك قوية و شنت حروب الركونكيستا و استعادت السيطرة الإقليمية على البلاد ضد المسلمين.WWW.CIRS .TM.ORG./PAYSAR.PHP?NOM-ESPAGNE

[1] - البخاري حمانة، المرجع السابق، ص 100 - 101.

المبحث الأول: ظهور الحركة الإصلاحية بوادي سوف

المطلب الأول: مفهوم الإصلاح

الإصلاح لغة: الإصلاح نقيض الإفساد، وأصلح الشيء بعد فساد أي أقامه، فنقول أصلح الدابة أي أحسن إليها فصلحت، فقوله صلح، يصلح، صلاحا وصلوحا وهو صالح وصليح والجمع صلحاء وصلوح، قال ابن دريد: "وليس صلح بثبت ورجل صالح في نفسه من قوم صلحاء، ومصلح في أعماله وأموره، وقد ورد أصلحه الله"[1]

كذلك مادة أصلح مشتقة من الفعل "أصلح" وصلح وصلح وكلها تدل على تغير حالة الفساد أي إزالة الفساد عن الشيء ويقال أيضا: " هذا يصلح لك أي، يوافقك ويحسن بك" ويقال كذلك: "صالح لكذا" أي فيه أهليه للقيام به، وبصفة عامة الصلاح ضد الفساد[2].

الإصلاح اصطلاحا: إن الإصلاح كلمة واضحة المعنى والمفهوم وهي ضد الإفساد وأجمع العقلاء في جميع الملل والنحل على أن الإصلاح محمود وضده مذموم.[3]

وقد تعددت مفاهيم الإصلاح وتباينت تباعا لاختلاف الرؤى والمذاهب الفكرية والفلسفية حول إعطاء مفهوم الإصلاح وماهيته، وليس غرضنا إعطاء مفهوم الإصلاح انطلاقا من تراثنا الفكري ومعتقدنا الديني الإسلامي، ونفصد بهذا الإصلاح الشرعي المستمد من القرآن الكريم[4]، ومن الآيات الكثيرة التي اتخذت قاعدة لدى كافة المصلحين في قوله تعالى: "إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وأليه أنيب"[5] وكذلك قوله تعالى:"وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون"[6]، أي وما كان من ربك أن يهلك القرى والأمم بظلم منه لها في حال كون أهلها مصلحين للفساد والظلم وينهون عن المنكر[7]، أما بالنسبة للسنة النبوية فلأحاديث الدالة على الإصلاح والصلح وما جاء في معناهما أكثر من أن نحصر ومنها الحديث المشهور أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"

---

[1] - ابن منظور، لسان العرب. ج2(ل.ط، بيروت، دار لسان العرب، د.ت)، ص462.
[2] - محمد طهاري، مفهوم الإصلاحيين جمال الدين الأفغاني و محمد عبده. (ط: 2، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1999م)، ص 11.
[3] - أبو يعلي الزواوي، نحن الإصلاحيين و خصماؤنا. البصائر، الجزائر، ع 2، 20 شوال 1345 الموافق لـ 24 جانفي 1936م، ص 4.
[4] - محمد مراد سيد بركات، ابن باديس المجدد الديني و المصلح الاجتماعي. مجلة الشريعة و الدراسات الإسلامية، ع 30، 1417هـ - 1996م، ص 254.
[5] - سورة هود، الآية: 88.
[6] - سورة هود، الآية: 177.
[7] - محمد رشيد رضا، تفسير المنار.ج12 (ط:1، مصر، مطبعة المنار، 1934م)، ص 192.

إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل من يجدد لها دينها"[1]، ولهذا لم يمر قرن من القرون إلا وبعث الله فيهم من يجدد لهذه الأمة دينها بسبب الانحرافات العقدية والسلوكية والمخالفات الشرعية والابتداع في الدين مثل جمال الدين الأفغاني، محمد عبده، الإمام النورسي، والسنوسي وغيرهم والذين رفعوا راية الإصلاح والتجديد والنهوض بالأمة الإسلامية من الركود والجمود إلى مصاف الأمم الراقية فأقام هؤلاء حركات دعوية إصلاحية إتباعا لنبيهم وسيرا على منهاجه في التغيير.

وفي مفهوم الإصلاح دائما نرى أنه عم جميع نواحي الحياة للأفراد الاجتماعية والدينية والسياسية والاقتصادية على أن الغالب في هذا الشأن أن الإصلاح كان دائما يرتبط بالقضايا الدينية والاجتماعية، ثم تعد ذلك ليشمل النواحي الأخرى ويعتبر الإصلاح السياسي والاقتصادي امتداد وثمرة من ثمرات الإصلاح الديني والاجتماعي.

ويقول محمد حسين خيرة في محاولة لإعطاء مفهوم واضح للإصلاح من خلال تراث الحركة الإصلاحية الجزائرية، فهو يؤكد أن الإصلاح يمثل لحظة المشروعية والاقتران التام بين الكفاح السياسي والتحرر الوطني مع الإصلاح الديني، انطوت فكرة الإصلاح على مفهوم عام ويحدد عالم الكون وعالم الفساد، كما أن الإصلاح بهذا المعنى ينبذ التقليد ويدعو إلى تجديد الروح والوعي، وصفة توفيقية بين الإسلام والحداثة واستيعاب الراهن في ديمومة تاريخية متجددة تسعى إلى التجرد من الأسلاب.[2]

[1] ـ أبو داود أبي هريرة، كتاب الملاحم باب ما يذكر في قرن المائة(4191). ج4 (لا.ط، لا.ن، دت)، ص 109.
[2] ـ محمد مرغيث، موقف الشهاب من قضايا معاصرة (1925 ـ 1939م)، رسالة ماجستير، غير منشورة جامعة الأمير عبد القادر، كلية العلوم الإسلامية، قسنطينة، 2002م ـ 2003م، ص 2.

المطلب الثاني: عوامل نشأة الحركة الإصلاحية بالجزائر

إن ظهور فكرة الإصلاح في الجزائر وفي غيرها من الدول العربية والإسلامية كانت ضرورة تاريخية متزامنة مع الحملة الصليبية الواسعة التي شنتها الكنيسة على البلاد الإسلامية من جهة وعلى الحركات والمذاهب التقليدية المنشقة للسلام التي ألقته صريعا أمام الغزو الصليبي والجزائر إحدى هذه الدول العربية الإسلامية أنذرت بالخطر وذلك من خلال سقوطها في أيادي الغزو الأوروبي الصليبي، ثم تلي هذا السقوط دولا عربية أخرى حينها استيقظ المسلمون وحدث ما يسمى بالصحوة الإسلامية وتعالت صيحات الحركات الإصلاحية في كل أنحاء العالم في القرن الإسلامي حيث نادت هذه الأخيرة إلى الرجوع إلى الإسلام الصحيح وإذا كانت الجزائر إحدى هذه الدول التي نادت بالإصلاح والتغيير فما هو الدافع لذلك؟ وما هي العوامل الداخلية والخارجية التي ساعدت وساهمت في انتشار فكرة الإصلاح؟[1]

1- العوامل الخارجية:

أ-الجامعة الإسلامية: ظهرت في الربع الأخير من القرن 19م، في وقت بلغ فيه المد الاستعماري أوجه، حيث تزعم هذه الحركة مجدد والعصر الحديث وهم جمال الدين الأفغاني، وتلميذه محمد عبده ورشيد رضا وآخرون، وقد استوعب الزعماء هذه الحركة تراث الإسلام في عصر إزهار حضارته و وضعوا أيديهم على عوامل التخلف التي طرأت على هذه الحاضرة فنهضوا بعزم جديد كان مضرب الأمثال يدعوا إلى نهضة إسلامية تقهر بها التحدي الحضاري المفروض عليها وتتجاوز بها المأزق الذي وضعها فيه أعداؤها وتصل بها الحاضر والمستقبل بعصر عطائها الحضاري العظيم.[2]

ولقد كان للحركة أثر هام على الحركة الوطنية الجزائرية عموما والحركة الإصلاحية على وجه الخصوص ولكن في الحقيقة فإن مجال الدعاية والإثارة قد أعد قبل تطور هذه الحركة في الجزائر فثورتنا(1871-1881) والحركة التي تلت احتلال تونس وأشعار محمد بن إسماعيل حول تأثير حرب القرن، وأشعار محمد السعيد عن الجامعة الإسلامية سنة 1897م، كانت كلها مع غيرها علامات عدم استقرار وطني وإسلامي ورغم غلق أبوابها

[1] - ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات و آفاق. (ط:1، بيروت، دآر الغرب الإسلامي، 2000م)، ص 210.
[2] - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية. ج2 (ط:4، بيروت، دآر الغرب الإسلامي، 1992م)، ص109.

واضطراب حيلتها الوطنية فإن الجزائر كانت حقلا لدعاية الجامعة الإسلامية منذ أواخر من القرن الثمانيات الماضي.[1]

كما كانت مجالا خصبا لاستقبال وتقبل أفكار خارجية معادية للاستعمار وخصوصا بعد فشل المحاولات المتوالية من طرف الجزائريين لصد سياسة الحكومة الفرنسية عن طريق الثورات الشعبية وكذلك أحيت تلك المحاولات التي قام بها الزعمين الجزائريين حمدان بن عثمان خوجة والأمير عبد القادر اللذان يعتبر أن المصلحين الإسلاميين ومن الكتاب المدافعين عن القضية الجزائرية والعالم الإسلامي فيعد حمدان خوجة من رواد الإصلاح السياسي والاجتماعي في العالم الإسلامي ومن أبرزها في هذه الجوانب، ومن شخصية أنه دعا إلى نبذ التعصب والتزمت اللذين كانا يسودان العالم الإسلامي نتيجة لموقف المحافظين من رجال الدين الذين أخذوا بظاهر الآيات والأحاديث النبوية، فأغلقوا باب الاجتهاد والتزموا التقوقع.[2]

نستطيع أن نقول أن المساهمة الجزائرية في الجامعة الإسلامية كانت واضحة إلا أن هناك أسباب حتمية جعلت من هذه المساهمات لا تظهر في الجزائر واضطرت إلى الظهور ضمن الجامعة الإسلامية بالمشرق في شكلها العالم وأهمها:

1- أن هذه الحركة كانت قد اضطرت في معظم الأحيان إلى أن تقوم بنشاطها في الخارج

2- عدم توفر الحرية، حيث اضطهد الفرنسيون عواطف الجامعة الإسلامية واضطرها إلى التعبير غير المباشر فقط، خصوصا اللجوء إلى الشعر الشعبي إضافة إلى عدم وجود تأييد من أية أمة أروبية.[3]

لكن رغم العراقيل التي كانت سدا في وجه الجزائريين والتي منعتهم إلى حد ما من الاتصال بالعالم الخارجي، استطاع الجزائريون أن ينظموا الجامعة السلامية، فكانت التي حدثت في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، دافعا قويا للانخراط والانضمام إلى الجمعيات الدينية التي أنشأها دعاة السلطان عبد الحميد ومهما يكن من أمر فإن دعاة

[1] ـ محمد عمارة، الإسلامية و التحدي الحضاري.(ط:2، بيروت، دآر الشروق، 1997م)، ص 25- 26.
[2] ـ أحمد عميراوي، دور حمدآن خوجة في تطور القضية الجزائرية (1827م - 1840م). (ط:1، قسنطينة، دآر البعث، 1987م)، ص 80.
[3] ـ محمد مرغيث، موقف الشهاب من قضايا معاصرة(1925م - 1939م)، مرجع سابق، ص 23.

الجامعة الإسلامية والقائمين عليها قد نجحوا بهذه الدعوة نجاحا كبيرا واستطاعوا أن يؤثروا بأفكارهم الإصلاحية القائمة على الإصلاح الديني والاجتماعي على جماعة النخبة من الجزائريين الذين استقبلوا هذه الأفكار بصدر رحب والتي تصلهم عن طريق المهاجرين أو عن طريق الصحف والمجلات ومن أبرز الشخصيات الإصلاحية التي كان لها دور في ظهور ونشر فكرة الإصلاح في الجزائر نجد شخصية وحركة جمال الدين الأفغاني الذي

نبذ الظلم والاستبداد حيث كان أكبر عامل في التأثير على الفكر الجزائري هو تأسيس لجريدة العروة الوثقى التي كان لها الأثر الكبير على جماعة المصلحين الجزائريين من خلال الدعوة إلى الإصلاح والمحافظة على الهوية الإسلامية، كما أن سياسة التهجير التي طبقتها فرنسا على الجزائريين كان لها أثر كبير من خلال احتكاكهم بغيرهم في البلدان المجاورة لهم سواء بالمغرب أو المشرق فاستمدوا من أفكار القادة والمصلحين وتمكنوا من معرفة ما يدور ويحاك ضدهم وضد العالم الإسلامي عموما وأشربوا حينها روح النهضة والإصلاح وتأثروا إلى درجة كبيرة بالأفكار الإصلاحية السائدة هناك وإن كانت النهضة في الجزائر قد ظهرت متأخرة مقارنة مع النهضة في المشرق فإن تأثير هذه الأخيرة كان واضح.[1]

إضافة إلى أن الحركة التعليمية التي أحدثها رائد النهضة ابن باديس وكذا الصحف والمجلات التي كانت ترد إلى الجزائر من مختلف البلدان العربية, وأما ربط النهضة في الثلاثينيات قد اكتملت بتكتل الحزب الإصلاحي تحت لواء جمعية المسلمين الجزائريين التي كانت بدايتها حركة اجتماعية تجاوز بفضلها المجتمع الجزائري الجهد الفردي والبطولات الشخصية إلى العمل الجماعي والتنظيم السياسي والبناء الاجتماعي, وكان أكبر عامل ساعد في تأثير الأفغاني على الفكر الجزائري هو تأسيسه لجريدة "العروة الوثقى", وخلاصة ما يقال أن تأثير جمال الدين الأفغاني على الحركة الإصلاحية الجزائرية والفكر الديني والسياسي الجزائري أن حركة الأفغاني ساهمت في تطهير الفكر الجزائري من العقلية الخرافية, كما شجعت الجزائريين على الهجرة إلى بلاد المشرق العربي حيث مكنهم من الاتصال وتبادل الأفكار والآراء حول مصير العالم الإسلامي وأعطت للتيار الوطني بعدا عربيا إسلاميا برفض فكرة التجنيس والإدماج.

[1] ـ محمد مرغيث، موقف الشهاب من قضايا معاصرة (1925م - 1939م)، مرجع سابق، ص 23.

أما الشخصية الثانية التي أثرت في الفكر الجزائري فهي شخصية "محمد عبده" تلميذ الأفغاني, وكان أعظم الأثر الذي تركه محمد عبده في نفوس المسلمين , ما كان ينشر من دعوته وأفكاره ما يؤثر في المسلمين إلى حد بعيد.[1]

إن مساهمة الجامعة الإسلامية في الحركة الوطنية الجزائرية اتخذ أشكالا مختلفة يمكن تلخيصها فيما يلي :[2]

1.أن الحركة الوطنية قد حصلت منها على عوض لصراع (مثلا فرنسا مقابل الجامعة الإسلامية).
2.أنها قدمت إليها أفكار وتصورات جديدة من خلال الكتب والصحافة..
3.أنها شجعت الجزائريين على الهجرة نحو الشرق الأدنى.
4.أنها عرفت بالقضية الجزائرية من خلال مواجهتها للحكم الفرنسي وتشجيع الجزائريين على رفض التجنيس.
5.ضغطت على فرنسا لإدخال إصلاحات جديدة.

وبناءا على بعض الآراء المعتمدة, فإن من بين النتائج المهمة لحركة الجامعة الإسلامية في الجزائر هي حركة الهجرة إلى المشرق التي بدأت في العقد الأول من القرن الحالي.

ب . الحركة الوهابية: وتنتسب إلى محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي, وهي دعوة قائمة على التوحيد ومحاربة الشرك والبدع التي أصابت المسلمين في عقيدتهم وعبادتهم, وقد كان لها أثر واضح في مختلف بقاع العالم الإسلامي, وفي معظم الحركات الإسلامية التي جاءت بعدها، وحيث تذكر بعض المصادر أن أول من حمل لواء الدعوة إلى الجزائر هو المؤرخ الجزائري " أبوراس الناصر" الذي قدر له أن يجتمع بحمد عبد الوهاب في موسم الحج ويذكره في أمور انتهى بعدها إلى الانتهاء إلى الاقتناع باتجاه حركة ابن عبد الوهاب، وكانت هذه المحاولات قبل سقوط العاصمة تحت نيّر الاستعمار[3], ورغم ظهور بعض المحاولات في

[1] المرجع نفسه، ص 26.
[2] ـ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج2، المرجع السابق، ص 119.
[3] ـ محمد مرغيث، موقف الشهاب من قضايا معاصرة. مرجع سابق، ص 119.
*- و لد ببلدة سيدي عقبة 1890م، انتقل مع عائلته إلى الحجاز، و إستقر بالمدينة المنورة، أخذ العلم عن جمع من العلماء و الشيوخ، رجع إلى الجزائر 1920م و عمره 31 سنة، استطاع أن يبعث النهضة الأدبية و الإصلاحية، شارك في جمعية العلماء المسلمين، عين كاتب عام لها، أسس جريد الإصلاح، توفيا بالعاصمة بدآء السكري سنة 1957م.

القرن 19 لبعض الجزائريين, إلا أنها محاولات فردية ذات نطاق محدود من بينها محاولات "حمدان خوجة*" و"الأمير عبد القادر" إلا قوة الوجود الاستعماري وطغيانه حالت دون انتشار أفكار هؤلاء ومن ثمّ كبحت في مهدها.

وفي نهاية القرن م19 وبداية القرن20 م ازداد تأثير الحركة الوهابية على الحركة الإصلاحية في الجزائر وذلك من خلال الهجرات التابعة التي كانت تصل أرض الشام والحجاز, جراء الاضطهاد الاستعماري وتردي أوضاع الجزائريين الاقتصادية، ما دفعهم إلى الهجرة الجماعية حيث تمكنوا من الاطلاع على مجريات الأحداث الدولية والمحلية والاتصال بالحركات الإسلامية مباشرة وبكبار العلماء والمصلحين فنجد كأبرز مثال الطيب العقبي* الذي احتك ببيئة انتشرت فيه الحركة الوهابية، فأخذ من مبادئها وأفكارها، وكذلك البشير الإبراهيمي الذي اتجه إلى الحجاز والشام سنة 1911م، وكانت غايته مشاركة دعاة الخبير في هذا الشرق فيما يدعون إليه والتعريف بالجزائر المنسية، ودعوة الحكومات الإسلامية والعربية على الخصوص إلى إعانتها في نهضتها الثقافية.[1]

وبصفة عامة يمكننا القول أن حركة عبد الوهاب وجدت رواجا لها عن طريق الهجرات المتتالية إلى الحجاز حيث تمكنوا من فرض وجودها والتأثير على العلماء والمصلحين على وجه الخصوص الذين رفعوا راية الإصلاح الديني وكانوا مفعمين بالمطامح والأفكار المعادية للفرنسيين عند عودتهم إلى الجزائر فاكتسبوا تجارب غنية وكانوا وعيا سياسيا[2]، فعن طريق الروابط الروحية التي تجمع بين المسلمين والمعابر الحضارية الإسلامية تمكن الجزائريون من إفشال السياسة الاستعمارية إلى حد بعيد، وأن يقودوا حركة إصلاحية إسلامية قوية مؤسسة على إصلاح القاعدة الشعبية.[3]

ج . الصحافة المشرقية: رغم أن الجزائريين كانوا في عزلة عن المشرق العربي وبعيدين عن التطورات الجديدة وعجلة النهضة، بسبب الإجراءات التعسفية التي فرضتها عليهم الإدارة الفرنسية كمنعهم من الذهاب إلى المشرق ومراقبة تحركاتهم ...الخ، فان الجزائريين كانوا متصلين بتطور النهضة العربية من خلال الصحف والجرائد، فقد كانت تصلهم عن طريق

[1] ـ أحمد مريوش، الشيخ الطيب العقبي و دوره في الحركة الوطنية الجزائرية.رسالة ماجستير، ص 42.
[2] ـ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية. ج2، ص 387.
[3] ـ محمد مرغيث، موقف الشهاب من قضايا معاصرة، مرجع سابق، ص 33.

تونس حيث كانت المراقبة الفرنسية أخف وطأة، أوعن طريق المغرب الذي كان لا يزال يتمتع باستقلاله، أوما بين حقائب الحجاج والتجارة والمهاجرين الذين كانت لهم صلة وطيدة ببلادهم.[1]

وتتجلى لنا آثار هذا التعلق بالصحافة المشرقية في المواضيع التي كانت تنشرها الصحافة الجزائرية، والتي كانت تخصص لها عدة أعمدة في صفحتها تعالج أخبار العالم الإسلامي باهتمام وأهم هذه الصحف الواردة:

1 . مجلة المنار: وهي مجلة شهرية تبحث في فلسفة الدين وشؤون الاجتماع والعمران أنشأها الشيخ محمد رشيد رضا عام 1315م، وظلت تصدر حتى عام 1354 هـ، ولقد كان الغرض من إنشاء هذه المجلة مسائل كثيرة يجمعها الإصلاح الديني والاجتماعي لأمتنا الإسلامية، وبيان اتفاق الإسلام مع العلم والعقل، وموافقته لصالح البشر بداية من إصلاح العقيدة ومحاربة البدع والخرافات، وفي مجال التربية والتعليم فلا يكاد يخلو عدد من المنار من مقال في الإصلاح والتربية والتعليم، وكذا نشر مبادئ الجامعة الإسلامية وأفكار محمد عبده وجمال الدين الأفغاني، والتي ساهمت حقيقة في إيصال هؤلاء وتهيئة الأجواء لاعتناق الفكرة الإصلاحية.

ويتضح لنا أن الجزائريين كانوا دائما يعترفون بفضل صاحب المنار على الحركة الإصلاحية الجزائريين، فهذا ابن باديس يقول: " أن الحركة الإسلامية الكبرى اليوم في العالم إصلاحا وهداية وبيان ودفاع كلها من آثار صاحب المنار، وهذا البشير الإبراهيمي يعترف بأن مجلة المنار أحدثت انقلابا فكريا في فهم الدين وصلته بالدنيا".[2]

2 . مجلة العروة الوثقى: جريدة سياسية أدبية أسبوعية أنشأت في 13 مارس 1884 م، مديرها هو جمال الدين الأفغاني ومحررها الشيخ محمد عبده المصري وهي تعد الحجر الأساس للنهضة الإسلامية الحديثة بما كانت تنشره من مقالات رنانة تعزيزا للإسلام[3], وقد أسسها الأفغاني بطلب من جمعية العروة الوثقى، وهي سرية ذات أهداف إسلامية سياسية

[1] ـ الزبير سيف الإسلام، تاريخ الصحافة الجزائرية.ج4(د.ط، الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985م).
[2] ـ محمد رشيد رضا، مجلة المنار. ج1 (ط:2، 1316هـ - 1327 هـ) ص 1.
[3] ـ علي عبد الحميد محمود، جمال الدين الأفغاني. (د.ط، الرياض، دار عباد)، ص 84.

ومن بين أهدافها[1]: إعادة الإسلام ومجده وتطهير عقائده من الشوائب والانحرافات عبر القرون ولا يكون ذلك إلا بالعودة إلى سيرة السلف الصالح.[2]

وقد وجدت في الجزائر الأذان الصاغية والقلوب الواعية يوم كانت تصدر بباريس فأثرت في الجزائر مثلما أثرت في العالم الإسلامي، وكان رجال الحركة الإصلاحية الجزائرية قد بنو حركتهم على أكثر المبادئ التي كانوا يدعوا إليها جمال الأفغاني ومحمد عبده في العروة الوثقى خصوصا في نفوس المثقفين منهم وزعت فيهم أيضا الروح الثورية بحكم طابعها السياسي.[3]

بالإضافة إلى العروة الوثقى ومجلة المنار فقد كانت هناك صحف أخرى سيارة لا تقل أهمية في تأثيرها على الجزائر والحركة الإصلاحية على وجه الخصوص فمجلة الفتح التي كانت تصدر بالقاهرة والتي يشرف عليها العالم والكاتب الكبير محب الدين الخطيب حملت لواء الدعوة السلفية بالمشرق مع أختها مجلة المنار بل إن هذه الصحيفة أنشأت لدفع الملحدين وتمثيل الإسلام تمثيلا صحيحا.

ومن المجلات والجرائد أيضا التي كان لها تأثير واضح في الجزائر جريدتي اللواء والمؤيد اللتان كانت تدعوان إلى اليقظة وإصلاح الأوضاع الداخلية في البلاد العربية ومقاومة الاستعمار والاستبداد السياسي والظلم الاجتماعي.[4]

2 . العوامل الداخلية:[5] إلى جانب العوامل الخارجية التي ساعدت على بزوغ فكرة الإصلاح في الجزائر فهناك أيضا عوامل داخلية كان لها الأثر المباشر في بعث حركة الإصلاح إلى الظهور واستقبال ما يأتي من خارج الجزائر من مؤثرات وبهذا يمكن القول بأن العامل الداخلي بمثابة الوعاء الذي تصب فيه هذه المؤثرات والعوامل التي ذكرناها آنفا، وأهمها المحاولات الإصلاحية التي قادها ابن باديس بنفسه والتي تمثل المحور الرئيس لانطلاق وتطبيق الأفكار النظرية الآتية من خارج الجزائر.

[1] ـ محسن عبد الحميد، جمال الدين الأفغاني المصلح المفترى عليه.(ط: 2، بيروت مؤسسة الرسالة، د.ت)، ص 174.
[2] ـ المرجع نفسه، ص 20.
[3] ـ محمد مرغيث، موقف الشهاب من قضايا معاصرة، مرجع سابق، ص 35.
[4] ـ المرجع نفسه، ص 36.
[5] ـ المرجع نفسه، ص 42.

- **الحركة التعليمة الباديسية :** فقد كان "ابن باديس" يعمل في واجهتين للتعليم في وقت واحد:

الأولى: لتعليم الكبار من خلال دروس الوعظ والإرشاد, ودروس التفسير والحديث.

الثانية: لتعليم الشبان والأطفال بالجامع الأخضر وبعض المكاتب المدرسية,ثم في مدرسة التربية والتعليم الإسلامية بعد إنشائها.

إن جهود "ابن باديس" في التربية والتعليم التي بدأها كما رأينا من الصفر حيث بدأ بتعليم صغار الأطفال من تلامذة الكتاتيب القرآنية قبل الحرب العالمية الأولى ثم تطور بهم من التعليم القرآني البسيط إلى الدراسة العلمية المنظمة لمختلف العلوم العربية والإسلامية بحيث لم تأت الحرب العلمية الثانية حتى كان تلاميذه الذين تخرجوا عليه من الجامع الأخضر وغيره يقدرون بالمئات من جميع أنحاء الوطن, وبذلك امتدت حركته فشملت الجزائر كلها من أدناها إلى أقصاها بعد عام 1931م عندما تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

فلقد أراد "ابن باديس" أن يبعث النهضة والحياة في الشعب الجزائري الأمي الراكد بكل سرعة حتى ينهض كرجل واحد للكفاح من أجل حقوقه الوطنية ,وينفض عنه غبار التأخر والجهل والخمول ,وأن تقوم جزائر حديثة على أساس قوميتها ودينها وجنسها ولغتها. وقد نجح في خطته التي وضعها بحكمة ودهاء قبل الحرب العالمية الأولى لنهضة الجزائر, ونفّذها بكل دقة وحزم مرحلة بعد مرحلة,بحيث لم يفارق الحياة عام 1940م حتى كانت الجزائر كلها تموج بنهضة علمية ودينية وسياسية عظيمة,وسارت تشق طريقها نحوهدفها المنشود كما رسمه "ابن باديس" حتى تحقق لها النصر الكامل سنة 1962م.[1]

فالحركة الإصلاحية الجزائرية لم تكن وليدة المصادفات وإنما نتيجة تفاعل عدة عوامل داخلية وخارجية والتي ذكرناها سابقا. وتعد هذه المرحلة حاسمة في تاريخ الجزائر, وبداية عهد جديد لحركة منظمة ومحاولة تجاوز العمل الفردي إلى عمل جماعي تأسيسي منظم, والذي توج حقيقة بإنشاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

[1] - رابح تركي، الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته و جهوده في التربية و التعليم (1900، 1940م)، (د:ط، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1969م)، ص 362-363.

المطلب الثالث: مظاهر الحركة الإصلاحية بالمنطقة و أثرها.

1.الطرق الصوفية ودورها في نشأة الحركة الإصلاحية:

بلغ عدد الطرق الصوفية الفاعلة في الجزائر أكثر من ستة وعشرين طريقة, منها ما أنشئت في العهد الاستعماري, ومنها ما كانت موجودة منذ العهد العثماني، فانتماء الجزائريين إلى الطرق الصوفية ليس وليد العهد الفرنسي, وقد عزا بعضهم المقاومة الشديدة التي وجدها الاحتلال الفرنسي في انتماء الناس لهذه الطرق التي كانت تحمس للجهاد وتدعو للمقاومة.

وقد كان لهذه الطرق الصوفية أيضا الدور الكبير في إقامة صلات وروابط روحية بين "السوافة" في وادي سوف وبقية الجزائريين ,وذلك من خلال إنشاء زوايا تابعة للزوايا الأم بالمنطقة, والتي يمكن حصرها في ثلاث طرق رئيسية وهي :

أ **. الطريقة القادرية:** وتعد أول الطرق التي ظهرت في الجزائر, حيث كان الشيخ " مصطفى بن مختار الغريسي" أول من أسس لها فرع بالجزائر سنة 1200م, وهي تنتسب في الأصل إلى الشيخ "عبد القادر الجيلالي" سلطان الأولياء المتوفى في بغداد سنة 561هـ, والذي له عدة تآليف منها: "لطائف الأنوار"، والزاوية الأم للطريقة توجد في بغداد[1], وقد دخلت فروعها إلى الجزائر عن طريق:[2]

. الحج إلى بيت الله الحرام والاحتكاك برواد الطريقة.

. عبر تونس, ومنها ظهرت في وادي سوف منذ القرن 6هـ.

أما العمل الفعلي للزاوية بوادي سوف فقد بدأ خلال القرن19م من قبل عائلة الشريف* التي تسكن الجريد التونسي[3], وقد شيّد النواة الأولى لها الشيخ "إبراهيم بن أحمد بن محمد بن عطية الشريف" الذي امتدت حياته فيما بين (1229هـ/1813م . 1292هـ /1875م), وذلك بعد تأسيس الزاوية القادرية "بنفطة" بالجريد التونسي سنة 1253هـ /1835م, ليتجه إلى الجزائر واضعا الأساس الأول للزاوية "بعميش " بوادي سوف, كما عمدت على فتح فروع لها بعدة أماكن أخرى كزاوية "الرباح" بمنطقة "عميش" التي أنشأها

[1] ـ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي. (ط:1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1998م) ص 28 ـ 47.

[2] ـ مختار فيلالي، نشأة المرابطين و الطرق الصوفية و أثرها في الجزائر خلال العهد العثماني. (د:ط، باتنة، الجزائر، دار الفن الغرافيكي للطباعة و النشر، د.ت)، ص 37.

* ـ عائلة الشريف: ذات أصول جزائرية من قبيلة البوازيد بن زيد التي تقطن في منطقة الزيبان و قد هاجر جدهم إلى تونس.

[3] ـ عمار هلال، الشيخ عبد العزيز بن محمد الهاشمي، مجلة الثقافية. الجزائر، ع 95، 1986م، ص 274.

الشيخ "محمد الإمام ابن إبراهيم الشريف", وهي قلعة لتحفيظ القرآن الكريم, كما كانت تعقد فيها حلقات الذكر ويتم فيها إكرام الضيوف وإطعام الفقراء والمحتاجين، وكذا زاوية قمار التي قام على شؤونها الشيخ "الحسين ابن إبراهيم الشريف", وقد جاءت هذه الأخيرة في إطار التنافس مع الطريقة التجانية في تلك الجهة.

كما سعى الشيخ "الهاشمي بن إبراهيم الشريف " إلى فتح زوايا للطريقة

القادرية كلما سمحت له الفرصة مثل : الزاوية القادرية "بأولاد جلال" ببسكرة, وزاوية بالأغواط، وقد كانت زاويته "بعميش" فقد كانت مهتمة بالتعليم القرآني فكانت ترسل حفظة القرآن الكريم لإتمام تعليمهم بزاوية نفطة, أو زاوية "توزر" التي يتولى أمرها آنذاك الشيخ " المولدي بوعرقية" المتوفى سنة 1915م.[1]

ب . الطريقة الرحمانية:وتنتسب هذه الطريقة إلى مؤسسها الأول "محمد بن عبد الرحمان"[2] المولود مابين سنتيّ: (1126هـ /1715م) بقرية آيت إسماعيل "فروحة" على بعد 15كلم من شرق مدينة ذراع الميزان, زاول تعليمه الابتدائي على يد الشيخّ ابن أعراب", ثم زار مصر ودرس هناك واستقر بالأزهر فعاد بثقافة واسعة، وقد كان من أبرز معلميه الشيخ "الحفناوي" شيخ الطريقة الحفناوية ولم يعش طويلا وتوفي سنة 1208هـ الموافق لـ (1793م.1794م)، وقد اكتسبت زاويته بعده شهرة واسعة.

وفي الوادي تأسست زاوية "سيدي سالم" على الطريقة الرحمانية, والذي أخذ الورد عن سيدي "علي بن عمر" شيخ زاوية "طولقة "الرحمانية, والذي أمر بتأسيس زاوية بالوادي (أي زاوية سيدي سالم) سنة 1236هـ / 1820م.

بقي "سيدي سالم" والذي ولد سنة 1182هـ/1768م بالوادي يرعى الزاوية حتى توفي ودفن بها عام 1277هـ/1860م, وقد بقي أولاده وأحفاده من بعده يشرفون عليها حتى يومنا هذا.[3]

للزاوية ثلاث أدوار رئيسية وهي: التعليم, التصوف, وإطعام المساكين...الخ، وقد كان أهم عمل قامت به هو نشر التعليم والعلم وإرشاد الناس وإصلاح المفاسد, بحيث أصبحت الزاوية عبارة عن خلية تضم العديد من الطلبة لحفظ القرآن الكريم ودراسة العلوم المختلفة, وتضمن

[1] ـ موسى بن موسى، إرهاصات الإصلاح بوادي سوف في مطلع القرن 20م، الندوة الفكرية الرابعة، عبد القادر الياجوري. قمار، 16 - 17 ذو القعدة 1425 الموافق لـ 26 - 27 ديسمبر 2004م، ص 8 - 9.

[2] ـ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي. مرجع سابق، ج4، ص 235.

[3] ـ إبراهيم مياسي، دور زاوية سيدي سالم التعليمي بالوادي، ص 6.

الزاوية لهم الرعاية التامة من إيواء وإطعام, وكذلك بالنسبة لعابري السبيل والفقراء والمساكين رغم إمكانياتها العادية البسيطة[1].

ج . الطريقة التجانية: وهي طريقة صوفية حديثة تعود إلى أواخر القرن18م, مؤسسها هو الشيخ "أحمد التجاني" والذي ارتبطت طريقته بأهل سوف في وقت مبكر عندما أرسل الشيخ" التجاني" أحد أتباعه وهو" محمد الساسي القماري" لينشر الطريقة بقمار[2], ثم رحل إلى مدينة "الأغواط" لتعليم القرآن والفقه, وقد حثه الشيخ على الرجوع إلى بلدة قمار لنشر الطريقة فامتثل سيدي "محمد الساسي" لأمر الشيخ, وبدأ في نشر الطريقة فاستجاب له عدد من سكان "قمار"[3], فكان له دور كبير في قيادة الطريقة ونشرها خصوصا" بوادي ريغ" و"سوف".

وقد كلف الشيخ "أحمد التجاني" مريديه بتأسيس زاوية لهم بقمار فتم ذلك في سنة 1204هـ/1789م على يد المقدم" محمد الساسي القماري" الذي أشرف عليها في البداية, ثم سلم مفاتيحها للشيخ "الحاج علي التماسيني" وبعض مقاديم سوف وهم: " الطاهر بن الصادق القماري" و"أحمد سليمان التاغزوتي" وأفراد آخرون.

وقد توفي الشيخ" الحاج علي التماسيني" سنة 1206هـ/1844م, فخلفه نجله الشيخ" محمد العيد" حيث عرفت الزاوية في خلافته توسيعات حيث بنى بها مسجدا, وشيد منزلا للعائلة التماسينية.

أما الشيوخ الذين أشرفوا على الزاوية بقمار وكان لهم تأثير في وادي سوف هم: . الشيخ" محمد الصغير بن الشيخ الحاج علي" ولد سنة 1258هـ/1817م, وقد تولى أمر الزاوية التجانية بتماسين في 19نوفمبر1875م إلى أن وافته المنية في 18 رمضان 1309هـ/1891م ودفن بقمار الشيخ "محمد العروسي التجاني" و"محمد العروسي بن محمد الصغير بن الحاج علي التماسيني" ولد بقمار سنة 1850م, حفظ القرآن الكريم ونهل من العلوم والمعارف وقد كان دبلوماسيا ماهرا.[4]

[1] - إبراهيم مياسي، دور زاوية سيدي سالم التعليمي بالوادي، المرجع السابق، ص 6.
[2] - علي غنابزية، مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية في القرن التاسع عشر، رسالة ماجستير، جامعة الأدب و العلوم الإنسانية، الجرائد، 2000- 2001م، ص 178.

[3] - روبرتاج للطالبة سيد نجاة حول النشاط الدعوي لزاوية تماسين، زيارة ميدانية، 2014م.
[4] - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج4، ص 231.

بلغت الزاوية مكانة علمية باهرة لنشاطها الدائم وحيويتها العلمية واستقبالها للشيوخ الوافدين من تونس خاصة علماء الشابية الذين قدموا دروسا في زاوية قمار , وبهذه تكون الزاوية بمثابة الإشعاع العلمي الذي حافظ على اللغة العربية وآدابها.

مما سبق نلاحظ بأن الزوايا بوادي سوف ساهمت في الحركة الإصلاحية , وذلك من خلال المحافظة على العلوم الدينية أصول اللغة العربية كبقية الزوايا الأخرى في الوطن بالرغم من فقدان البلاد لاستقلالها وما يتبعه ذلك من ضغط وزجر ومنع...

2 . التعليم و الحركة الإصلاحية: يعتبر التعليم المحور الأساس لأي نشاط تربوي في أي نظام سياسي وركيزة مستمرة في بناء الشخصية القاعدية للفرد وللأسرة والمجتمع والدولة. وفي الجزائر تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931م, برئاسة الشيخ "عبد الحميد بن باديس" وشرعت في إنشاء مدارسها عبر التراب الوطني , وكان برنامجها التعليمي ينص على تعليم العلوم الدينية واللغوية والتاريخية, وعدم الاكتفاء بالأذكار الأوردة ومجرد تلاوة القرآن والذكر دون العمل الجدي ومراعاة أحكام الشريعة في الأعمال الخاصة والعامة[1]، وعليه نجد أن التعليم بوادي سوف كان على ثلاثة أشكال وهي:

أ . التعليم القرآني: ويعد الأكثر انتشارا في كامل أنحاء القطر الجزائري خلال القرن 19م[2], خاصة بوادي سوف حيث انتشر وراج بفضل المؤدبين والزوايا.[3] وقد كان تواجد هذه المدارس والكتاتيب كثيرا جدا حيث لا يخلو حيّ بقرى ومدن وادي سوف من مدرسة قرآنية على الأقل, وهي في تدريسها مشابهة بباقي البلدان الإسلامية. وقد كان تأثيث هذه المدارس بسيطا حيث يجلس الأطفال على حصائر أو أفرشة محدودة الامتداد في فصل الشتاء, ولكل منهم لوح من الخشب , بالإضافة إلى الطين الذي يمحى به اللوح, أما أدوات الكتابة فهي بسيطة جدا تحضر محليا, فحبر الكتابة يصنع من الصمغ المحروق والمطحون يوضع في أدوات مع شيء من الصوف والماء ,أما القلم فيصنع من قصب "الديس", أما المعلم فيدعى

[1] ـ رابح تركي، التعليم القومي و الشخصية الوطنية دراسة تربوية للشخصية الجزائرية (1931 ـ 1956م). (د:ط، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1395هـ ـ 1975م)، ص 44.

[2] ـ موسى بن موسى، إرهاصات الإصلاح بوادي سوف في مطلع القرن العشرين، مرجع سابق، ص 23.

[3] ـ أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، (ط:2، البليدة. الجزائر، دار النشر للكتاب، 1963م)، ص 266.

"الطالب" أو"سيدي" وهو شخص متواضع لا تحدد له أجرة, إلا ما يقدمه الأطفال وآباءهم عند مناسبات مرتبطة بالتعليم.[1]

ب . تعليم المعاهد الإسلامية: لقد كان بالمنطقة في ذلك الوقت ثلاث حواضر علمية هي: الوادي,قمار, الزقم ضم كل منهما ثلة من العلماء البارزين, وقد اشتهر منهم في مدينة الوادي: "محمد العربي بن محمد الصالح بن موسى" الذي ولد عام 1290هـ/1873م. وكان غزير العلم , وقد بذل جهودا معتبرة في التعليم بسوف وتقرت. أما حاضرة قمار فقد كانت زاخرة بكثرة علمائها الذين ذاع صيتهم في الأفاق منهم: الشيخ "أحمد سالم" الملقب "بالقايد" ولد حوالي 1257هـ/1842م، وكان له دور هام في تعليم القرآن الكريم والفقه, وقد تتلمذ على يده عدد كبير من الطلبة, وتوفي سنة 1927م.[2]

أما في بلدة الزقم فنجد كل من الشيخ"إبراهيم بن السلمي" والشيخ "إبراهيم بن محمد بن معمر" فقيه البلدة وخطيبها والذي توفي سنة 1257هـ/1841م. وقد كان هؤلاء العلماء يخصصون وقتا ليدرسوا طلبة العلم, وكان أول ما يبدأ به المتعلم في ذلك الوقت هو حفظ القرآن وإتقان تلاوته ورسمه وقواعد كتابته وحفظ بعض المتون الخاصة بالرسم القرآني, وبعد ذلك وفي مرحلة متقدمة يتعلم الطلبة مبادئ اللغة العربية من متن الأجرومية أثناء النهار كما تعقد دروس للعلماء خلال الليل مابين المغرب والعشاء بالمساجد,وتكون أغلبها في مادة تفسير القرآن الكريم أو الحديث النبوي كما تخصص بعضها لمادة الفقه، كما أن بعض الطرق الصوفية كانت حاضرة للتعاليم الإسلامية بزواياها كالزاوية القادرية "بعميش" التي فتح فيها الشيخ"الهاشمي الشريف"مدرسة مشابهة لزاوية "سيدي المولدي بوعرقية" بتوز, واستقدم إليها علماء المنطقة.[3]

ج . التعليم الفرنسي: وجاء كمحاولة لاستيعاب أكثر عدد من أبناء المنطقة وإعدادهم لوظائف يترفع عنها المعمر أكثر منها عملا تثقيفيا فهو بذلك لا يرقى إلى تطوير الشخصية الجزائرية.

[1] - موسى بن موسى، المرجع السابق، ص 24- 25.
[2] - علي غنابزية، مجتمع وادي سوف، المرجع السابق، ص 135.
[3] - علي غنابزية، مجتمع وادي سوف، المرجع السابق، ص 154 - 155.

وقد تم فتح أول مدرسة بمدينة الوادي وأطلق عليها اسم مدرسة الأهالي سنة1886م, لكن ما لوحظ أن عدد المتمدرسين ظلّ يتزايد موسميا ففي الموسم الأول بلغ العدد ثمانية متمدرسين جلّ آباءهم يشتغلون بالإدارة الفرنسية في الموسم(1889م . 1890م), ليصل عددهم إلى 278 تلميذ سنة 1900م.

أما المدرسة الثانية التي أنشأها المستعمر كانت بقرية "كوينين" سنة 1893م, غير أن وثائق المدرسة قد أتلفت.[1] أما بقمار فقد أسست المدرسة الثالثة حوالي 1903م , وهي آخر مدرسة تنشئها الإدارة الاستعمارية حتى حوالي سنة 1939م.[2] إن الغرض من إنشاء مدرسة الأهالي هو التكفل بأبناء الموظفين في الإدارة الفرنسية للملحقة أولا, وإيجاد طبقة من أهالي سوف تدين بالولاء لفرنسا وتتقن لغتها,ومنه إعداد جيل متشبع بالقيم الفرنسية يكون السند القوي للاستعمار, ولكن بعض الأهالي كانوا يهرّبون أبنائهم للصحراء خوفا من الأنظار الفرنسية لأنهم يعتبرون الانتساب إلى هذه المدارس وصمة عار وخضوع للكفار.[3]

من خلال ما سبق نرى أن التعليم عامل مؤثر في بلورة الحركة الإصلاحية خاصة مراكزه التي شملت المدارس القرآنية والزوايا والمساجد التي تبنيها الأمة بعرق جبينها وتصرف عليها من حرّ مالها وتحيطها برعايتها, هي التي نهضت بمهمة تكوين الأجيال الجزائرية الصاعدة وحملت مشعل الثقافة العربية ,وقد نبغ فيها عدد من العلماء الصالحين فكانوا حماة اللغة العربية والدّين على عكس المدارس التي أقامها الاحتلال الذي يعمل على محاربة الشخصية والهوية الجزائرية ومناهضة الثقافة الإسلامية ومحاولة قتل اللغة العربية لإحلال اللغة الفرنسية محلها.

3. **الرحلة في طلب العلم و دورها في الحركة الإصلاحية:** كانت الحياة الثقافية عامة والدينية خاصة قبل ظهور الحركات الإصلاحية تعيش تحت تأثير الطرق الصوفية, ولا تكاد تخرج عن إطارها العام حتى أن العلماء لا يجدون آذان صاغية إلا إذا أعلنوا ولاءهم لإحدى هذه الطرق[4]. كما فرضت الحياة الاقتصادية على أهل وادي سوف الرحلة من أجل طلب لقمة

[1] ـ المرجع نفسه، ص 155 - 156.
[2] ـ عبد القادر الميهي، المدارس في سوف فترة الاستعمار. ص 4.
[3] ـ علي غنابزية، مجتمع وادي سوف، المرجع سابق، ص 156.
[4] ـ أحمد زغب، صدى الحركة الإصلاحية بوادي سوف، مجلة القباب، دار الثقافة، الوادي، ع1، جوان 2004م، ص 24.

العيش مع الرغبة في طلب العلم خارج حدودهم, لذلك اتجه كثير منهم إلى جامعة الزيتونة بتونس والقرويين بالمغرب، [1] كما ساهم التعليم في بناء واقع الإصلاح في وادي سوف لما لعبه من تأثير على الواقع الثقافي والاجتماعي باعتبار المنطقة كانت في حاجة ماسة لتقدم خطوات في عملية الإصلاح.

ولهذا كانت عوامل نشأت الإصلاح عديدة من أهمها: الهجرة خاصة إلى البلاد العربية الأخرى , والتعليم الذي ساهم بجميع أصنافه في بناء شخصية المثقف الواعي, لذلك كانت وجهة الرحلات إلى:

1. المشرق العربي: لقد ظل المشرق العربي يمثل المقصد الهام للهجرة من اجل طلب العلم لما تمثله هذه الرقعة الواسعة من العالم العربي والإسلامي من أهمية بالغة في المستوى العام والتعليم .

غير أن أغلبية المهاجرين إلى بلاد المشرق يغلب عليهم تحبيذ البقاء في تلك البلدان لما وجده هؤلاء من راحة واستمتاع بمجاورة البيت الحرام للتعبد، خاصة المهاجرين الحج . فهناك تواجد كثيف لأهل سوف وهم في غالبهم من حاضرة "قمار". كما يلاحظ على كثير من هؤلاء المهاجرين مساهمتهم في نشر العلم والتعليم ومواصلة الإصلاح انطلاقا من قدرتهم الفائقة في التحصيل، [2] بالإضافة إلى مساهمة بعضهم في نشر الطرق الصوفية هناك كسيدي "الحاج العيد الباري" التونسي القماري الأصل ,والذي هاجر إلى بلاد الشام وأصبح من مستوطنيها, وقد منحته السلطة التركية مرتبا شهريا مكافئة له على حسن تلاوته القرآن الكريم.

وهكذا نجد أن الرحلة إلى المشرق العربي قد ساهم من خلالها أهل "سوف" خاصة النخبة المثقفة في رفع لواء الإصلاح عن طريق التعليم أكثر من المساهمة في المنطقة نفسها,لكن هذا لم يمنع عامل التواصل الذي ضمن استمرارية مساهمة هؤلاء في الإشعاع الإصلاحي

[1] ـ أبو القاسم سعد الله، أفكار جامحة، (د:ط، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1988م)، ص 172.
[2] ـ موسى بن موسى، إرهاصات الإصلاح بوادي سوف، المرجع سابق، ص 23.

بالمنطقة كما شجع استقرارهم هناك على تحريض العديد من أبناء المنطقة على الهجرة قصد التحصيل العلمي للمشاركة في دعم أسس الإصلاح.[1]

2. الرحلة إلى تونس:إن قرب تونس من وادي سوف كان عاملا هاما في تشجيع الهجرة إليها , فعرفت توافد عديد الأفواج إليها, وهذا لعدة أسباب أهمها: التجارة, العمل والتعليم.فقد كان اكثر المهاجرين لها من الطلبة القاصدين لجامع الزيتونة, كما نجد منهم من يقصد الزوايا كالزاوية القادرية "بتوزر" لسيدي " المولدي بوعرقية" التي كانت تضم عددا كبيرا من الطلبة, وتؤمن لهم المسكن والطعام فكانت على شكل معهد يضم مرافق الحياة كلها.

وهكذا استمرت العلاقة بين "سوف" و"تونس" لتكون مصدر إشعاع لبروز معالم الإصلاح الذي ظل يشع عبر فترات متفاوتة وبشكل مغاير بين الحين والآخر.

وتبقى تونس أكثر تأثيرا نتيجة استيعابها أكثر عدد من المهاجرين من وادي سوف , وعليه فليس من الغرابة أن تتماثل الخصائص الاجتماعية و الاقتصادية والثقافية بين أهالي المناطق المجاورة لوادي سوف بتونس خاصة "بالجريد التونسي".[2]

3. الاتصال بالحواضر الثقافية في الجزائر: إن طبيعة الوضع الاقتصادي الذي تعرفه "سوف" فرض على كثير من أهاليه تحبيذ الرحلة تعبيرا عن رفضهم وعدم رضاهم بالوضعية العامة وقد قصد "السوافة" مناطق عديدة منا: "وادي ريغ" و"الزاب" و"ورقلة" و"عمالة قسنطينة"

والهجرة إلى المناطق الداخلية قد تكون طوعية مثل هجرة الحرفيين للبحث عن أسواق أكثر استيعابا لمنتوجاتهم مثل: الخياطين والنساجين... وغيرهم من أصحاب الحرف.

كما نجد الأغنياء الذين يرغبون في توظيف أموالهم": كشراء الواحات المسقية في "وادي ريغ" و"تماسين" و"ورقلة" و"الزيبان" حيث النخلة هناك لا تتطلب كلفة كبيرة, وهكذا نجد أن المهاجرين هم أصناف عديدة حيث يشكلون تجمعات إما على مستوى التجارة في محلات صغيرة أو حرف وحتى عمال مستقلين يتواجدون في مختلف القطاعات.

[1] - المرجع نفسه، ص 24.
[2] - خير الدين شترة، مساهمات جزائرية في الحياة السياسية و الفكرية التونسية من مطلع القرن العشرين إلى غاية 1939م، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث 2002م - 2003م، ص 106 - 107.

أما الطلبة فقد نجد هجرتهم محدودة باستثناء بعض المدارس كالمدرسة الفرنسية الإسلامية بقسنطينة لتخريج القضاة والمترجمين ورجال المحاكم الشرعية وأعوان الإدارة الأهلية.[1]

كما نجد أن كثيرا من المغضوب عليهم من طرف السلطات المختلفة فضلوا الهجرة إلى بعض المناطق القريبة من "وادي سوف", ومن أهم هذه المناطق "الزيبان" حيث نجد "عبد القادر الياجوري" و"علي بن سعد" قد بادروا إلى نشر مبادئ جمعية العلماء "بطولقة", وكذلك "محمد الأمين العمودي" الذي فضل الاستقرار "ببسكرة" و"العروسي ميلودي" و"الهاشمي الدراجي" في بسكرة أيضا حيث ظلوا يسعون إلى تنشيط الواقع الثقافي بهذه المنطقة تحت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.[2]

[1] ـ موسى بن موسى، إرهاصات الإصلاح بوادي سوف، المرجع السابق، ص 25.
[2] ـ المرجع نفسه، ص25.

المطلب الرابع: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالوادي

1. ظهور جمعية العلماء المسلمين بوادي سوف

لم يكن ظهور جمعية العلماء وليد الصدفة وإنما كان ثمرة زرعها بعض المصلحين العرب والمسلمين عي أواخر القرن19م مثل "جمال الدين الأفغاني" و"محمد عبده".[1]

فميلاد أي حركة هو عملية طويلة وأحيانا عسيرة ومؤلمة[2]، وكذلك كان ميلاد جمعية العلماء, وذلك أن أنشاء جمعية إصلاحية في بلاد كالجزائر تخضع لاستعمار ضاغط ليس بالأمر الهين.[3]

فبعد أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها عرفت الجزائر تغيرات هامة في شتى مجالات الحياة وتميزت بظاهرتين أساسيتين:[4]

الظاهرة الأولى: تتمثل في إيقاظ وعي الجماهير المسلمة والاهتمام بالقضية الجزائرية

الظاهرة الثانية: تتلخص في ظهور نمو الحركة الإصلاحية الإسلامية المعروفة بالإصلاح الإسلامي الذي يستمد جذور من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة, ولذلك فإن حركة الإصلاح في الجزائر قد عملت على تطهير الإسلام مما علق به من شوائب.

وقد مهدت هذه الظروف إلى ظهور جمعية العلماء سنة 1931م برئاسة الشيخ "عبد الحميد بن باديس"والتي أعلنت عن طبيعتها بأنها جمعية إرشادية تهذيبية، [5] تسعى إلى نشر الدعوة الإسلامية وتطهير الإسلام من الشعوذة والخرافات وتكوين مجتمع جزائري مرجعيته الإسلام واللغة العربية.

ولكن الممارسة العملية جعلتها تقتحم الميدان السياسي للدفاع عن الأمة والوطن والمشاركة في النشاطات الوطنية والتصدي للأساليب الاستعمارية الخسيسة الرامية إلى إفساد الدين

[1] ـ عمار طالبي، ابن باديس حياته و آثاره.ج2 (لا:ط، الجزائر، دار مكتبة الشركة الجزائرية، 1968م)، ص 19.
[2] ـ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، المرجع سابق، ص 114.
[3] ـ أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و أثرها في الجزائر. (لا: ط، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1996م، ص 146 - 247.
[4] ـ عبد الكريم أبو الصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و علاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى (1931م - 1939م). (لا: ط، الجزائر، المؤسسة الوطنية للاتصال و النشر، 1996م، ص 146- 147.
[5] ـ علي غنابزية، النشاط السياسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بوادي سوف (1931 - 1939م). مجلة القباب، الجزائر، ع1، 2004م، ص 32.

الإسلامي عند المسلمين فغاية الجمعية إذن هوالرجوع بالأمة الجزائرية إلى عقائد الإسلام المبنية على العلم وفضائله وأحكامه القائمة على الرحمة والعدل والإحسان.

كما فرضت الجمعية تعليم اللغة العربية للصغار والكبار بالمساجد,ففتحت المدارس الحرة عبر كامل التراب الوطني بالرغم مما اعترض ذلك من عراقيل كان يختلقها الاستعمار, وفي فترة وجيزة انتشرت دعوة جمعية العلماء المسلمين وذلك من خلال ما قام به "بن باديس" من ربط الجمعية بدعوتها في الحياة الدينية والثقافية والاجتماعية باعتبار أن تعاليم الدين الإسلامي يشمل مناحي الحياة المختلفة,فوجدت في منطقة "وادي سوف" كغيرها من مناطق الوطن إقبالا لدى أغلب السكان.[1]

ويذكر الدكتور"أبوالقاسم سعد الله" بأن علاقة "بن باديس" بالمنطقة تعود لسنة1919م وذلك من خلال العثور على وثيقتين تدل على وجود مراسلات بين "باديس" و"الطاهر العبيدي" حيث اشتملت الوثيقة الأولى على قصيدة من أثنين وعشرين بيتا نضمها "الطاهر العبيدي" في مدح صديقه"بن باديس" وأما الوثيقة الثانية فهي رسالة "بن باديس" إلى الشيخ "الطاهر العبيدي".

ويظهر من رد "بن باديس" أن "العبيدي" قد أرسل القصيدة إلى صديقه فلم يأته رد عليها, فأرسل أخرى نثرية عاتبه فيها على عدم الجواب وكان" ابن باديس" عندئذ غائبا عن قسنطينة.[2]

2. حضور أعلام وادي سوف في المؤتمر التأسيسي: العلماء هم ورثة الأنبياء وعندما يطلق هذا اللفظ يقصد به كل من انتسب للعلم الديني واللغوي من أئمة ومدرسين ومعلمين وفقهاء وأهل الأدب وهم أصحاب الثقافة, وقد تحول كثير منهم إلى خوض غمار السياسة وممارستها عن طريق الجمعيات ذات الطابع الديني والثقافي , وخلال فترة العشرينات كان السعي حثيثا لبثّ الوعي الوطني والديني والسياسي عبر الجرائد مثل جريدة"النجاح" و"المنتقد" و"الشهاب" و"الإصلاح", وفي بداية الثلاثينيات أثيرت فكرة إنشاء جمعية العلماء التي كان دورها توحيد الجهود حيث عقد لها اجتماع كما يقول الشيخ"البشير الإبراهيمي" على الساعة

[1] ـ سعد العمامرة و الجيلالي العوامر، شهداء الحرب التحريرية بوادي سوف. (لا:ط، الجزائر، مطبعة النخلة، بوزريعة، دت). ص 15.
[2] ـ أبو القاسم سعد الله، تجارب الرحلة في الأدب و الرحلة. (لا: ط، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1993م)، ص 98.

الثامنة من صباح يوم الثلاثاء 17من شهر ذي الحجة عام 1349هـ الموافق لـ: 5ماي 1931م, اجتمع بنادي الترقي بالعاصمة الجزائر 72من علماء الفطر الجزائري وطلبة العلم بناءا على دعوة اللجنة التأسيسية, وكان الغرض من الدعوة هو تحقيق فكرة طالما فكرفيها علماء القطر الجزائري فرادى وهي تأسيس جمعية علماء المسلمين.[1]

ونقل الدكتور" أبو القاسم سعد الله" عن المرحوم الشيخ" حسني الهاشمي" عام 1980م, قال: ((أن الدعوة وجهت لجمع من علماء الوادي منهم: "إبراهيم بن عامر(العوامر) صاحب كتاب "الصروف" والشيخ "الطاهر العبيدي" وأخوه" أحمد العبيدي" والشيخ"الميداني موساوي", ولم يحضر سوى الشيخ"الأزعر القماري".

أما الوفد الذي حضر إلى نادي الترقي وشارك في المؤتمر التأسيسي للجمعية كل من:"حمزة بوكوشة" , الأمين العمودي , والشيخ: عمار بن الأزعر حين كان "للأمين العمودي" الدور الفعال في الإعداد لتحرير القانون الأساسي للجمعية كونه رجل قانون وظل كاتبا عاما بها إلى سنة 1936م.

وفي "وادي سوف" كانت لجمعية العلماء لجنة تمثلها وتعمل بتوجيهاتها وتتكون من المشايخ:" الهاشمي حميداتو" ,"جمزة بوكوشة" , "عبد الكامل النجعي" و"عمار بن الأزعر",[2] حيث يقول هذا الأخير: ((...كنت أحد المؤسسين للجمعية ورئيسا لشعبتها في حنوب الجزائر..))،[3] وقد أدت اللجنة دورا رائدا في توعية أبناء المنطقة برئاسة الشيخ" عبد العزيز الشريف" شيخ الزاوية القادرية.[4]

3. النشاط الفكري الدعوي والسياسي لجمعية العلماء بوادي سوف:

ظلت جمعية العلماء المسلمين في قوانينها الأساسية تصرح بأنها جمعية دينية, علمية, تهذبية, مؤكدة عدم تدخلها في المسائل السياسية لكي تجنب نفسها المصير لقيته معظم الحركات الوطنية الجزائرية.

---

[1] - علي غنابزية، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بسوف (نشاط فكري و سياسي و تجارب واسعة)، جريدة الشعب، 25 جويلية 1989م، ص 2 - علي غنابزية، المرجع نفسه، ص5.

3 - محمد السعيد دفتر دار، من أعلام المدينة المنورة صاحب الفضيلة المحدث السلفي الشيخ عمار بن عبد الله بن الطاهر بن أحمد الهلالي الجزائري المدرس بالمسجد النبوي الشريف. مجلة المنهل،ع 8، 1966م،ص 1105-1106.

4 - علي غنابزية، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. المرجع نفسه.ص 5.

والجدير بالذكر أن النشاط الفكري والدعوي والتعليمي , والتحرك السياسي لعلماء الجمعية في وادي سوف هو أحد النماذج المتميزة لنشاطات الجمعية في فترة الثلاثينيات,[1] وتمثل هذا النشاط في نشر العلم في المساجد, وفتح المدارس وتحويل الزاوية القادرية "بسوف" وقراها إلى قلعة للعلم تؤازر الجمعية وتسير في ركبها.

وبما أن المنطقة تزخر بعلماء بلغوا الآفاق وانتشر علمهم خارج المنطقة , وكانت لهم مساهمة جادة وفعالة في الأقاليم المجاورة, فقد كان هدفهم واحد هو الدفاع عن الشخصية الوطنية وتجسيد بعديّها العربي والإسلامي , ولقد لعب العديد منهم دورا هاما في تأسيس الجمعية ومن أبرز هذه النشاطات :

1. تأسيس مدرسة قمار: سعى المصلحون بقمار على بناء مسجد عظيم وتأسيس مدرسة للتعليم, ومن العلماء الذين كان لهم الشرف بالتدريس بهذه المدرسة الشيخ "الطاهر التليلي" منذ عام1931م وكان مؤسسها لها. ثم حاول التعليم في قمار فكان يواجه المضايقات والتهديدات من السلطة الاستعمارية, وكان مؤسسا لها،[2] ثم حاول التعليم في قمار فكان يواجه المضايقات والتهديدات من السلطة الاستعمارية وكان وجود صحيفة "البصائر" في حوزته ووجود مراسلة "ابن باديس" أو أحد رجال الجمعية كافية لإثبات التهمة ضده, ولكنه استطاع أن ينشر التعليم العربي والتعاليم الإسلامية مدة15سنة في بلدة "قمار" ويكون جيشا من المتعلمين هم اليوم عدة البلاد في ميادين مختلفة.[3]

2. مدرسة البياضة: ذكر الشيخ " الصادق بالي: أنه أسس سنة 1954م مدرسة" بالفطاحزة" بمعية السيد " الساسي فليون" وبها قسم واحد, ولكن المدرسة لم تباشر عملها بسبب تعيين الشيخ "الصادق بالي" إماما بتبسة بسعي من جمعية العلماء.[4]

3. مدرسة الوادي: أسسها الشيخ" عبد العزيز الشريف" وكانت بالزاوية القادرية واستقدم إليها أساتذة أجلاء منهم الشيخ " عبد القادر الياجوري" والشيخ "خرن علي بن سعد" و"محمد بن محمد" من تونس ..وغيرهم.

[1] ـ علي غنابزية، النشاط السياسي لجمعية العلماء المسلمين بوادي سوف، المرجع السابق، ص 33.
[2] ـ نشاط سياسي و فكري و تجارب واسعة. المرجع السابق، دص.
[3] ـ الطاهر تليلي، مسائل قرآنية منظومات. (لا.ط، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986م)، ص 9.
[4] ـ علي غنابزية، نشاط فكري و سياسي و تجارب واسعة. المرجع السابق، د ص.

4. المدرسة القرآنية "أولاد أحمد":انخرط الشيخ " حسني الهاشمي" في الجمعية بعد تأسيسها وتابع باهتمام تحركات الشيخ" ابن باديس" وعمل مباشرة مع الشيخين "البشير الإبراهيمي" و"الطيب العقبي" و غيرهم ورجع من الجزائر خلال سنة 1946م باتفاق مع الجمعية في إطار نشر وتوسيع النهضة الإسلامية عبر الوطن, ففتح منزلا له في الولاية وسماه "مدرسة أولاد أحمد" لتعليم التفسير واللغة العربية... إلى غاية الاستقلال.[1]

4 زيارة الشيخ ابن باديس إلى وادي سوف وأثرها الدعوي والإصلاحي:

رتب الشيخ"عبد العزيز الشريف" لوفد من الجمعية بقيادة الإمام "ابن باديس" إلى الوادي في شهرديسمبر1937م, لتدعيم نشاطه وتكريس أفكار الإصلاح (الحركة الإصلاحية) في المنطقة .

وفي هذا الصدد نستشهد بما كتبه الشيخ" محمد خير الدين" في مذكراته: ((... انتشرت وفود الجمعية في كل مكان وفي الوفود التي شاركت فيها وفد الصحراء الذي تكون من الشيخ" عبد الحميد بن باديس" و"الشيخ مبارك الميلي", زار هذا الوفد"وادي سوف" وكانت معقلا من معاقل الطرقية التي تناهض حركتنا الإصلاحية , ولكن الحركة سرت في كل مكان وأصبح لها أتباع ينتصرون بها وتنتصر بهم ومن جملة الشخصيات التي انضمت إليها وأصبحت عضوا عاملا في إدارة الجمعية " الشيخ عبد العزيز بن الشيخ الهاشمي" رئيس الطريقة القادرية..)).[2]

ولكن أصحاب الطرقية بدأو في تحريك أعوانهم ليهاجموا الحركة الإصلاحية, وجعل هؤلاء يصفون الرئيس الشيخ "بن باديس" بأنه "وهابي" و"عبدوي" بل أنه "عزرائيل" رغبة في تنفير الناس منه وسعيا إلى وأد الحركة الإصلاحية في مهدها ولكن استقبال الوفد كان فوق كل تصور أينما حلّ

ففي "قمار" استقبل" الوفد من طرف الشيخ "الأخضر شبروا" رئيس خلية جمعية العلماء بالوادي, وكان معه السيد" عبد الكامل النجعي" أمين مال شعبة الوادي..

[1] ـ المرجع نفسه، دص.

[2] ـ محمد خير الدين، مذكرات الشيخ محمد خير الدين و مشاركته في جمعية العلماء و جبهة التحرير الوطني و مجلس الثورة الجزائرية. (لا .ط، الجزائر، مطبعة دحلب، 1985م)، ص 280.

وفي خارج بلدة" قمار" تجمع الناس في تظاهرة عظيمة للاحتفال بالوفد, وحينما أخذ الوفد مكانه قام الشيخ "محمد الطاهر بن القاسم" أحد المتخرجين من جامع الزيتونة, وألقى خطاب الترحيب بقصيدة مطلعها:[1]

هي يا قرية الرمال وهبي واجبات اللقاء إلى خير وفد

مرحبا بالذين هبوا لحق أهله ضيعوه عن غير عمد

نفخوا في البلاد روحا فأمست أمة تعرف الحقوق وتفدي

وفي صباح يوم الجمعة رجع الوفد إلى الوادي ليحاضر في الأمة بزاوية الشيخ" عبد العزيز الشريف" فعقد الاجتماع بساحة السوق, وحضره خلق كثير رغم دسائس الخونة وبعض الطرقيين الذين حاولوا التشويش على هذا المهرجان وإفشاله, ثم قدّم الشيخ" عبد العزيز" باقي أعضاء الوفد الذين ألقوا كلماتهم على التوالي وهم الشيوخ" التبسي","مبارك الميلي", "حمزة بوكوشة" و"محمد خير الدين". وبعد ذلك توجه الوفد إلى"تكسبت" حيث استقبلهم الشاب "الطيب فرحات", ثم توقف في "كوينين" عند السيد"حومية عبد الوهاب" الذي تبرع للجمعية بمبلغ 25ألف فرنك, وانتقل الوفد بعد ذلك إلى "تاغزوت" عند زاوية الشيخ"العيد التجاني". ومن الغد وصل الوفد إلى قمار حيث ألقى الشيخ" بن باديس" درسا قيما وتبعه الشيخ "خير الدين" ,"العربي التبسي" و"مبارك الميلي".[2]

- تأثير الزيارة على المنطقة:

كان لهذا الزيارة الأثر العميق عند الشيخ "عبد العزيز" والتي دفعته لتكثيف نشاطه وتنقلاته عبر القرى و المداشر شمالا وجنوبا "كالبهيمة", "الزقم" ,"الدبيلة" و"المقرن" معقل التجانية لهذا تعرض في المقرن لمضايقات القياد ومقاديم التجانية, كما زار"قمار", و"العلندة", "الرباح"و"العقلة" وغيرها لنشر أفكار الحركة الإصلاحية والدعوة إليها ضمن التوجيهات الدينية والعلمية لإحياء الناس وتنبيههم من غفلتهم وإيقاظ ضمائرهم لإنارة الطريق الصحيح لهم.[3]

[1] - إبراهيم مياسي، جهاد الشيخ عبد العزيز. مجلة الثقافة، ع 109، الجزائر، 1995م، ص 170.
[2] - المرجع نفسه، ص 172- 173.
[3] - إبراهيم مياسي، جهاد الشيخ عبد العزيز، المرجع السابق، ص 172- 173.

وفي هذا الإطار أيضا نظم الشيخ"عبد العزيز" زيارة للشيخ" الفضيل الورتلاني" إلى الوادي في آخر شهر جانفي 1938م بدون رضا خلية الوادي. وكان لهذه الزيارة أهداف سامية تمثلت في:

أ . بث الوعي الوطني في المجتمع السوفي و الاتصال بالجماهير مباشرة بدون واسطة (مثلما حدث في سوق مدينة الوادي يوم الجمعة).

ب . كسر حاجز الخوف المضروب على المنطقة من جراء الحكم العسكري الذي كان يتتبع تحركات الوفد ويستقصي أقوالهم بواسطة الجواسيس وأعوان الاستعمار.

ج . إبراز هيئة العلماء وربطهم بالجماهير وتمكينهم من تصحيح المفاهيم الخاطئة , ولمّ شمل أبناء الجهة وتعليمهم نبذ الخلاف عندما زار الوفد موقع الطرق الصوفية في "الرقيبة"و" تغزوت", وتمكن من مواجهة سياسة فرق تسد التي بذرها الاستعمار.

د . إظهار زيف الفكر الخرافي بتقديم المبادئ الإسلامية صافية نقية من كل زيف و فوق ذلك المنهج الباديسي،[1] الذي يستقي أفكاره من نصوص القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة و الموروث الفقهي الإسلامي و بروز ذلك جليا في الخطب التوجيهية لعلماء الوفد الزائر كـ :

. تفسير الشيخ بن باديس في مدينة وادي الوادي قوله تعالى:" يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة".[2] و بعده الشيخ الميلي في قوله تعالى: "و ما خلقت الجن و الإنس إلا ليعبدوني"،[3] وفي بلدة حساني عبد الكريم كان درس الشيخ عبد الحميد بن باديس هو تفسيره لقوله تعالى: " و ننزل من القرآن ما هو شفاء و رحمة للمومنين"[4]، وفي الزقم فسر قوله تعالى: " و وصى بها إبراهيم بنيه و يعقوب"[5] و من خلال تفسيره ركز حديثه عن الأخوة الإسلامية و الإنسانية و الروابط التي تربط بين المجتمع، و محاولة بث الوعي قيهم لأمر سوف يجري في المستقبل.

[1] ـ المرجع نفسه، ص 173.
[2] سورة النساء، الآية 1.
[3] ـ سورة الذريات، الآية 56.
[4] ـ سورة الاسراء، الآية 82.
[5] ـ سورة البقرة، الآية 132.

هـ . السعي الحثيث للتنظيم و هيكلة الجمعية و تأسيس شعب لها في المنطقة. أما الأثر الفعال الذي تركته الزيارة فيمكن تحديده فيما يلي:

. تم فتح المدارس في مختلف أنحاء المنطقة و خصوصا الوادي، قمار، الزقم، الرقيبة و استمرت فيما بعد في إعداد جيل أول نوفمبر و معظم الثوار درسوا بها، و كانوا الركيزة الأولى لحزب الشعب بالوادي مثل المجاهد أحمد ميلودي.

. أعطت الزيارة انطلاقة للعمل السياسي في صفوف الجبهة، و مهدت للعمل الحزبي مستقبلا.

. كما أرسلت سلوكا حضاريا راقيا تمثل في إصلاح ذات البين للتقريب بين أتباع الطرق الصوفية.

. عرفت الزيارة سكان وادي سوف بالعلماء العاملين بها، فازداد إقبال الناس على أفكار الجمعية و صحفها التي كانت توزع في السوق، و الاتصال بالقرى المعزولة، و صناعة الحدث السياسي بجلوس الناس إلى العلماء، و السماع إليهم مباشرة، و الأخذ من كلامهم العلمي و أفكارهم الإصلاحية الجديدة التي أعطت دفعا للجمعية بالمنطقة.

. رغم الوضع السياسي الصعب الذي كانت تعيشه منطقة وادي سوف عند ظهور جمعية العلماء، و ذلك بسبب خضوعها للحكم العسكري العنيف الذي تحكم في النفوس و العقول و حاول بث الشقاق و التفرقة بين العشائر إلا أننا نستنتج أن بعض علماء سوف لبوا النداء و حضروا الاجتماع التأسيسي للجمعية بالعاصمة، حينئذ بدأت النشاطات تمارس على نطاق واسع بالمنطقة في الفترة ما بين (1937م . 1938م)، مما سبب إزعاجا للاستعمار الذي رد بقوة محاولا اجتثاث العمل الإصلاحي من جذوره.[1]

[1] ـ علي غنايزية، النشاط السياسي لجمعة العلماء المسلمين الجزائريين بوادي سوف،المرجع السابق، ص 36.

المبحث الثاني: أبرز أعلام الإصلاح بوادي سوف

المطلب الأول: عبد القادر الياجوري.

1. مولده ونشأته:

ولد عبد القادر بن الحاج عمار الياجوري في قمار بولاية الوادي في حوالي 1912م، والذي اشتهر بين الناس بالياجوري.

كان أبوه من الفلاحين أدخله غلى المدرسة القرآنية فحفظ فيها القرآن الكريم، ثم انتقل إلى توزر بالجريد التونسي فمكث فيها تسعة سنوات أتقن فيها القرآن تلاوة وقراءة وتجويدا، وأخذ من شتى العلوم الدينية والفقهية حيث درس على عدد من علماء الجزائر وتونس أيضا أمثال: الشيخ العربي التبسي، الشيخ محمد الأخضر حسين والشيخ مكي بن عزوز، وفي سنة 1925م انتقل إلى جامع الزيتونة فتخرج منه بشهادة التطويع سنة 1934م ثم رجع غلى قمار مسقط رأسه وكان عمره عندئذ 22 سنة.[1]

2. نشاطه الإصلاحي: بعد رجوعه من رحلة العلم سنة 1935م استقر ببلدته قمار وكان من يومها يعقد حلقات ويقدم دروس حرة في مساجد قمار ولقاءات مع بعض التلاميذ وأنصار الإصلاح حتى تحصل سنة 1936م على رخصة التعليم في المدرسة القرآنية الموجودة في جامع الطلبة بقمار، وكان تعليمه مركزا في مختلف فنون العلم خاصة العربية، وبعد ذلك تعددت المواقع التي درس فيها وهي قمار، البياضة، بسكرة، عزابة، وهران، معسكر، سيدي بلعباس، وغليزان، كما عين مدرسا ومديرا ونائب لرئيس لجنة التعليم في معهد بن باديس بقسنطينة، وفي شهادة أحد طلبته بالمعهد الشاعر أبوالقاسم خمار يقول: " كان الشيخ الياجوري يدرسنا التفسير وشروح الحديث النبوي وسيرة الرسول الأعظم... وكان عمره وقتها 36سنة في شموخ الشباب والحيوية، يدخل علينا قسم الدراسة فيخيم الصمت وتتحفز الأذهان وتتجه جل الأعمال نحوه".[2]

[1] ـ محمد الحسن فضلاء، من أعلام الإصلاح في الجزائر. ج2، مرجع سابق، ص 76.
[2] ـ علي غنابزية، الشيخ عبد القادر الياجوري المصلح والجاهد، جريدة النبأ، ع 222، من 25 سبتمبر إلى أكتوبر 1995م.

3. دوره في جمعية العلماء المسلمين: يقول عن نفسه في وثيقة تعريفية كتبها للمهرجان الثقافي بقمار سنة 1985م: " انخرطت بصفوف جمعية العلماء منذ تأسيسها وأنا تلميذ، عملت تحت لوائها إماما وخطيبا ومرشدا ومسير لشعبة جمعية العلماء لسنة 1935م إلى آخر سنة 1937م فحولت بأمر من الجمعية إلى قرية البياضة فعملت خطيبا بمسجدها ومديرا للمدرسة الحرة إلى أن القيا عليا القبض بقرية الطريفاوي يوم 10 افريل 1938م وبعد الحرب العالمية الثانية ومنذ سنة 1946م عملت في المجلس الإداري للجمعية داعية ومندوبا وإماما وخطيبا ومديرا ومدرس بمعهد بن باديس ونائب رئيس لجنة التعليم وبعد جويلية 1954م نقلت إلى وهران لمهمات نفسها.[1]

ثم بتوجيه من بن باديس عاد الشيخ الياجوري إلى مسقط رأسه الوادي وباشر نشاطه وعمله كإمام خطيب وواعظ مرشد، ومدير لشعبة جمعية العلماء، أكثر من سنتين أمضاها في العمل الدؤوب والدعوة المخلصة والنضال في كل قرى وادي سوف ومن خارج منطقته حتى خارج القطر إذ كان على اتصال بالمناضلين في تونس، وقد كان ذلك من بين الأسباب التي حرضت السلطات الاستعمارية على إدخاله السجن سنة 1938م على اثر برقيات التأييد التي أرسلها إلى الحزب الدستوري التونسي بعد مظاهراته ضد الاستعمار، فلقد أزعجهم بقوة نشاطه وبيان حجته وحيوية دعوته وكثرة اتصالاته الهادفة إلى صيانة الوطن وإيقاظ الشعب وإفشال المؤامرات والمشاريع الاستعمارية فما كان منهم إلا أن يزجوا به في السجن ليعزلوه ويجمدوا حركيته فوجهوا عدة لهم كثيرة ومتنوعة منها:

. أنه يدرس العربية ويخالف قرار 8 مارس 1938م الذي يمنع تدريسها باعتبارها لغة أجنبية.

. أنه قام مع رفاقه بتأسيس جامعة الشعب بالوادي لتدريس العلوم العربية الإسلامية، وأنه يستقبل الشخصيات الوطنية المناهضة للاستعمار كالشيخ الفضيل الورتلاني.

. واثر ذلك نفي إلى مليانة حيث أقام فيها تحت رقابة البوليس وتحرياته، وفي أكتوبر 1944م تحرر من إقامته الجبرية، وحرموا عليه منطقة واحد وهي مسقط رأسه، ومرة أخرى أودع السجن بمدينة بسكرة إلى غاية 1946م وعندما أطلق سراحه عاد إلى التدريس بمعهد بن باديس

[1] ـ علي غنابزية، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بوادي سوف.المرجع السابق.

بقسنطينة إلى غاية 1954م ليعين بعدها مشرفا وإماما خطيب لمسجد ومدرسة الفلاح بوهران ونائب لرئيس لجنة التعليم للجمعية.[1]

. كان الشيخ الياجوري أحد المساندين للثورة منذ اندلاعها إذ قام يخاطب المواطنين بوهران في أول جمعة من شهر نوفمبر 1954م يدعوهم إلى الالتفاف حول ثورتهم المباركة، وفي عام 1954م انضمت جمعية العلماء المسلمين رسميا للثورة فكان مصيره الاعتقال يوم 29 مارس 1956م، ستة سنوات إلى تاريخ إعلان وقف النار.

بعد الاستقلال التحق الياجوري بوزارة الشؤون الدينية وعمل بها إلى غاية 1964م ثم التحق الياجوري بسلك التعليم وعمل أستاذ للفقه إلى غاية 1977م حيث توقف بسبب تقدمه في السن.[2]

4 . وفاته: في آخر أيامه زار الشيخ رحمه الله مسقط رأسه والتقى بأقاربه وزميله الشيخ محمد الطاهر التليلي ليودعهم الوداع الأخير واستمر بعد رجوعه في حركته الدائرة من العمل في التعليم إلى 11 أوت قبل وفاته بيوم إذ سلمت الروح إلى بارئها بمدينة وهران يوم 12 أوت 1991م، في مرحلة كانت الجزائر في أشد الحاجة إلى مثل هؤلاء المفكرين ذوي الفكر المعتدل البعيد عن التطرف والقريب إلى التسامح.[3]

[1] ـ محمد بلقاسم خمار، الشيخ الياجوري حياة كلها كفاح.الندوة الفكرية السابعة، محمد الأمين العمودي، دار الثقافة، الوادي، 1994م، ص 53.
[2] ـ محمد الحسن فضلاء، من أعلام الإصلاح في الجزائر. المرجع السابق، ج2، ص 78.
[3] ـ علي غنابزية، الشيخ عبد القادر الياجوري المصلح المجاهد، المرجع السابق، دص.

المطلب الثاني: محمد الأمين العمودي.

1. مولده ونشأته:

ولد محمد الأمين العمودي في حوالي سنة 1892 بمدينة الوادي من أسرة عريقة في العلم والثقافة والوعي الوطني، التحق في صباه بالكتاتيب القرآنية وكذلك بالمدرسة الابتدائية الفرنسية بوسط المدنية إلى أن بلغ 16 من عمره، ثم التحق بمدرسة قسنطينة الفرنسية الإسلامية وهي المدرسة الثالثة في ذلك العهد بعد مدرسة العاصمة ومدرسة تلمسان التي تشرف على تكوين القضاة ورجال المحاكم الشرعية وأعوان الإدارة الأهلية.[1]

2. نشاطه الإصلاحي والصحفي: كانت بداية نشاطاته في مدينة بسكرة صحبة جماعة، أطلقت على نفسها جماعة الإصلاح الديني، تحت رئاسة المرحوم الشيخ الطيب العقبي، وضمن هذا الإطار ظهرت كتابات الأمين العمودي على صفحات الجرائد المحلية التي يساهم في إصدارها صدى الصحراء، الإصلاح، الأقدام.

وهكذا وصلت أفكاره إلى باقي صحف الشرق والوسط المعروفة آنذاك، مثل المنتدى والشهاب، وغيرهما وتمحورت كتابات العمودي حول معارضة الاستعمار وبعض الطرق التي حادت عن منهجها السليم عندما تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في ماي 1931م، انتقل الشيخ العمودي إلى مقرها بالعاصمة، ليتقلد منصب أمينها العام وكاتبها السري نظرا لتضلعه في لغة القانون والسياسة ومعرفته الجيدة للعربية والفرنسية مما أهله لأن يدافع عن قضايا وطنه.[2]

وفي سنة 1935م قرر التوجه إلى الشباب الجزائري صاحب الثقافة الفرنسية وذلك لتوعيته في إطار دعوة الإصلاح حتى سنة 1939م حول مفهوم الشخصية العربية الإسلامية للكيان الجزائري.[3]

ومن أعمال الشيخ العمودي تأسيس صحيفة الدفاع الناطقة بالفرنسية في الفترة ما بين 1934م و1939م، وترمي هذه الصحيفة إلى ربط فئات المجتمع الجزائري وتبليغ أهداف

[1] - مريم سيد علي مبارك، أعلام الجزائر، (لا.ط، الجزائر، دار المعرفة، 2012م)، ص 61- 62.
[2] - المرجع نفسه، ص 61- 62.
[3] - مريم سيد مبارك، المرجع السابق، ص 62.

الحركة الإصلاحية بين الناطقتين باللغة الفرنسية، وكما أصدر صحيفة أخرى سماها الجحيم ذات أوراق حمراء وعنوانها على شكل أفاعي وثعابين تلتهم نار ذات لهيب.

ومن أهم الوظائف التي تقلدها العمودي: كاتب ضبط، مساعد ترجمان وكيل شرعي، ورئيس الوكلاء الشرعيين وغيرها من المناصب السياسية.

كما كان شاعرا مرموقا ذا إحساس جمالي وقد ظهر ذلك في أشعاره في الجزء الثاني من كتاب " شعراء الجزائر"، مطبعة النهضة بتونس، وقد شارك العمودي أيضا في المؤتمر الإسلامي سنة 1936م، ولما رفض البعض مشاركته ووجدوه ضمن الوفد قال بن باديس: " لا أرضى بغير العمودي ترجمانا فهوالذي يستطيع تبليغ أفكاري وترجمة كلامي للمسلمين الفرنسيين وينقل إلى كلامهم بأمانة وإخلاص فالأمين العمودي هولساني الأمين".[1]

أولى العمودي أيضا اهتمامه بالأجيال الصاعدة وكان يريد من وراء ذلك تذكير هذه الفئة من المثقفين بماضيها العريق وجذورها فدافع إلى النهاية عن إبراز الوجود الجزائري أمة وحضارة مما دفعه سنة 1956م إلى الانخراط في صفوف المنظمة المدنية لجبهة التحرير الوطني وجعل الغزاة يبيتون لقتله والتخلص منه.[2]

3. ظروف استشهاده: وهكذا دفع العمودي حياته قربانا من أجل الحرية، وذلك عندما خرج يوما من منزله بحي" سانتوجان" ببولوغين حاليا متوجها إلى المحكمة الشرعية بالعاصمة وكانت اليد العصبية الحمراء تخطف من تجده من الشخصيات الجزائرية، فلم تمهله هو الآخر رغم كبر سنه، فخطفوه وقتلوه ثم تركوه طريحا في حي البويرة وقد عثر على جثمانه يوم 10 أكتوبر 1957م قرب السكة الحديدية ومنها دفن في مقبرة بولوغين رحمه الله.[3]

[1] ـ المرجع نفسه، ص 62.
[2] ـ مريم سيد مبارك المرجع السابق، ص 62.
[3] ـ محمد الأخضر السائحي، محمد الأمين العمودي الشخصية المتعددة الجوانب." لا.ط، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1988م) ص 26 ـ 27.

المطلب الثالث: حمزة بوكوشة.

1. مولده ونشأته: هو الشيخ حمزة شنوف المدعو" بوكوشة "، ولد بوادي الأولية في سوف 1909م، كان والده يشتغل بالتجارة في مدينة بسكرة، لما بلغ الخامسة من عمره انتقل للعيش مع والده هناك،[1] وقد كان والده محبا للعلم لذا حرص على تعليمه وتربيته على الخلق والأدب حيث تلقى المبادئ الأولية في اللغة العربية وقواعدها على مشايخ من بينهم الشيخ علي بن إبراهيم بن عامر.[2]

لما بلغ 17 سنة انتقل إلى جامع الزيتونة بتونس لمتابعة دراسته، فتخرج منه بشاهدة " التطويع العالمية"، وهي أعلى شهادة تمنح للطالب في ذلك الوقت.[3]

2 . نشاطه الإصلاحي: شارك الشيخ في الاجتماع التأسيسي للجمعية سنة 1931م ضمن الوفد الذي حضر من وادي سوف بنادي الترقي بالعاصمة، وبعد مدة عين عضوا للجنة الممثلة للجمعية في وادي سوف، فأصبح عضوا نشيطا بها، وذلك من خلال رسالته التعليمية التي بدأت إثر رجوعه من الزيتونة، فعين سنة 1932م مديرا لمدرسة الإصلاح بدلس التابعة للجمعية، ثم انتقل إلى قسنطينة ليساعد بن باديس في الدروس التي كان يلقيها بالجامع الأخضر، وقد تخرج على يده الكثير من الطلبة، وفي سنة 1956م باشر التدريس بفرع معهد "بن باديس" بحي بلكور تحت إدارة الشيخ العربي التبسي، ثم أرسل من طرف الجمعية سنة 1937م إلى مدينة " ليون" الفرنسية ليقوم بمحاضرات ودروس توجيهية للعمال الجزائريين المهاجرين هناك، ثم عين ممثلا للجمعية هناك، وفي عام 1938م انتخب عضوا في المجلس الإداري وهذا أعلى هيئة للجمعية، وفي سنة 1944م، أسندت إليه نيابة الكاتب العام، ثم مراقبا عاما في أجهزتها سنة 1947م، واستمر عاملا بجد في صفوف الجمعية إلى يوم إعلان الثورة المسلحة حين تعرض للاعتقال على أيدي الاحتلال الفرنسي سنة 1957م.[4]

[1] ـ رابح خدوسي، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين.(لا.ط، الجزائر، دار الحضارة، 2003م) ص 133.
[2] ـ محمد الحسن فضلاء، من أعلام الإصلاح في الجزائر، المرجع السابق، ج2، ص 62.
[3] ـ محمد الصالح الصديق، أعلام من الغرب العربي. ج3 (لا.ط، الجزائر، 2000م)، ص 1092 - 1093.
[4] ـ علي غنابزية، الشيخ حمزة بوكوشة مسيرة إصلاح. مجلة النبأ، ع 148، 1995م، ص 12.

3. نشاطه الصحفي: لقد تعددت مجالات كتاباته حيث شملت المقال السياسي الجزائري والمقال الأدبي النقدي والقصيدة الشعرية الشيقة، كما ساهم في الصحف الأجنبية كرحلته من الشمال إلى جنوب الوادي خاصة في جريدة " التونسية سنة 1932م.

وقد غلب على أسلوبه الطابع الأدبي السهل حيث كان خفيف الظل في كتاباته قصد إيصال الفكرة مباشرة، كما كان ذا غيرة كبيرة على العربية والدين الإسلامي باعتبارهما روح الجزائري الذي لا يستطيع الاستغناء عنهما.[1]

امتلك الشيخ قلما فياضا لمقالات أدبية نقدية قيمة، ومواضيع سياسية جزئية، أثار بها الفكر ونورها العقل منذ الثلاثينات، فكان يكتب في جريدة "الشهاب" (1934 . 1935م) وكتب كثيرا في جريدة البصائر، وهي لسان حال جمعية العلماء، فتحدث عن الأدب وقضاياه ضمن ركن شؤون وشجون، فكان ناقدا جريئا لا يبالي في ذكر رأيه مهما كان الموقف، كما ساهم في تأسيس جريدة الليالي سنة 1936م، وكان من محرريها البارزين وفي عام 1937م أشرف على تحرير جريدة المغرب العربي وكانت هذه الجريدة لسان حال الشباب المسلم وخطتها كانت إصلاحية وطنية تقاوم الفساد الإداري والاجتماعي وتهاجم بصفة خاصة القياد والباشوات والنواب الذين يعملون ضد مصلحة الأهالي.[2]

4. تراثه الفكري: أكثر أعماله قبل الاستقلال متناثرة عبر مختلف الصحف، أما بعد الاستقلال فجلها إما مقالات في بعض الصحف تعرف ببعض رجالات الحركة الإصلاحية أومحاضرات ألقيت في ملتقيات ثقافية وأكثر هذه الأعمال مازالت مخطوطة منها:

. الشيخ الهاشمي الشريف وانتفاضة وادي سوف 1918م.

. من أقطاب السلفية في المغرب العربي عبد الحميد بن باديس.

. محاضرة مخطوطة عن حياة صديقه الأمين العمودي.[3]

. وله ديوان شعري لا يزال مخطوطا يحمل عنوانين اثنين:" من خواطر الصبا والشباب والكهولة والمشيب" و" من خواطر الشباب والمشيب" ومن شعره:

[1] ـ علي غنابزية، العلامة والأديب الصحفي الشيخ حمزة بوكوشة، مجلة النبأ، ع 148، المرجع السابق، ص 13.
[2] ـ علي غنابزية، مساهمة علماء سوف في الصحافة الوطنية، المرجع السابق، ص 128 ـ 129.
[3] ـ علي غنابزية، الشيخ حمزة بوكوشة مسيرة إصلاح، المرجع السابق، ص 12.

إذا لم تحاربك هذه الحياة فلست إذن من رجال الأدب.

فصبرا وصبرا على النائبات ولا بد يوما تزول الكرب.[1]

5. وفاته: بعد حياة مكللة بالعمل والجد والفكر والدعوة الهادفة، يغادر الشيخ حمزة بوكوشة أحبابه وتلامذته إثر نوبة قلبية حادة عن عمر يناهز 85 عاما وكان ذلك يوم 16 نوفمبر 1994م الموافق لـ 14 جمادي الثانية 1415هـ حيث دفن بمقبرة القطار بالعاصمة.

[1] ـ عمر بن قينة، صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث. (لا.ط، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1993م)، ص 379.

الخاتمة:

ومن كل ما تقدم نخلص إلى أن الحركة الإصلاحية قد وجدت في منطقة وادي سوف منذ بداية العشرينيات من هذا القرن استجابة تلقائية من طرف العديد من المصلحين الذين تلقوا تعليمهم في جامع الزيتونة، وشرعوا في العمل على تجسيد مبادئ الإصلاح بالمنطقة، والذين ساهموا في بعث الحركة العلمية التي عاشتها وادي سوف نتيجة الهجرة المتواصلة بين المناطق الحدودية لكل من الجزائر ماثلة في وادي سوف ، وتونس المتمثلة في منطقة الجريد ومناطق أخرى من تونس كما أن للدور الايجابي الذي قامت به معظم الزوايا في جميع أنحاء الجزائر قد افرز نتائج منها:

– توعية السكان بأمور دينهم ودفعهم إلى الالتفاف أكثر حول ثقافتهم العربية الإسلامية.

– إضافة إلى تحفيظ الصغار القران الكريم ، ومساعدة المعوزين... الخ. كانت في النهاية بمثابة الأرضية الايجابية لحركة الإصلاح متمثلة في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (1931م) وفي رائدها الشيخ عبد الحميد ابن باديس. ولقد استمر التيار الإصلاحي منذ ذلك الوقت وحتى سنوات الخمسينات في تزايد دعاته وأنصاره بالرغم من القمع الاستعماري، حيث استلم مشعل الإصلاح بعد أولئك الرواد الأوائل شباب لا يقلون تصميما على مواصلة هذه المهمة و ذلك أمثال : الشيخ محمد الطاهر التليلي ، عبد القادر الياجوري ، الأمين العمودي ، وحمزة بوكوشة وغيرهم ممن تلقوا تعليمهم بدورهم في جامع الزيتونة. ولقد تجلت أثار ذلك الامتداد الإصلاحي بالمنطقة من خلال بروز وعي ديني وسياسي جديدين لدى أهلها الذين اندفعوا إلى بناء المدارس.وبدأت المنطقة تشهد لأول مرة أسلوبا جديدا في نضالها ضد التواجد الاستعماري حيث ظهرت البعثات التعليمية ، نحو معهد عبد الحميد بن باديس و جامع الزيتونة.

و بعض بلدان المشرق العربي ، حيث تخرج منها هؤلاء العلماء المصلحين الذين كانوا ثمارا نافعة لأرض الجزائر الطيبة، ولا زالت جهودهم مصادر ماثلة للعيان إلى اليوم، بالرغم مما مر عليها من سنين طوال، والشعب لا يزال يعتبرهم مصدر إلهامه و افتخاره، ومبعث اعتزازه حين ينتسب إلى أولئك الرجال الأفذاذ ، بسبب وقوفهم ضد الظلمة و

الغاصبين الذين حاولوا تشويه المعالم الحضارية و الثقافية للأمة الجزائرية و التشكيك في هويتها ، ومن ثمار هؤلاء الأعلام نذكر أهمها فيما يلي :

- قاموا صحبة أفراد أمتهم بتضحيات جسام دفاعا عن بقاء كيان أمتهم و عن تربتها وسيادتها لتبقي امة جزائرية عربية مسلمة.

- بفضل جهودهم التربوية السليمة المنسجمة، تم إنشاء شعب جزائري طيب الأعراق منسجما دينيا و فكريا و وطنيا، مترابطا اجتماعيا.

- بفضل هؤلاء العلماء الذين هم بحق ورثة الأنبياء انصهر الشعب الجزائري في الثقافة العربية الإسلامية وتفاعل معها وقد صدق قوله –صلى الله عليه وسلم –:(لا تزل طائفة من أمتي ظاهرة على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهي على ذلك).

وبهذا تكونت امة متآزرة متضامنة طول تاريخها الطويل مهابة الجانب يضرب لها ألف حساب في المحافل الدولية.

- كانوا وقود الحس الاجتماعي والروحي والوطني للاستمرار ،وحراس أمناء على مصالح الأمة الجزائرية في كل الأحوال والأوقات.

- ساهموا بتنشيط الحركة العلمية والثقافية ،ورفعوا راية الإصلاح بوادي سوف فهم ذخر عظيم للجزائر والإسلام.

- يعد تاريخهم تاريخ النهضة و الإصلاح لمنطقة وادي سوف و تاريخ الجزائر كلها في زمن تسلط فيه أبشع الاستعمار عرفه العالم

والحديث عن الصالحين يغرس الصلاح في النفوس وينبت الإيمان في القلوب وهو عبادة وقربى إلى الله.

نسأل الله تعالى أن يتقبلها منا ويوالينا على المزيد من توفيقه وعونه وحفظه.

أولا: القرآن الكريم.

ثانيا: الكتب

1. إبراهيم بن محمد الساسي العوامر.الصروف في تاريخ الصحراء وسوف, تعليق: الجيلالي بن إبراهيم العوامر، (دط), تونس الدار التونسية للنشر, 1977م, ص38.
2. أبو القاسم سعد الله، أفكار جامحة. (د ط), الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب, 1988م.
3. أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية, (1900م . 1930م).ط 4 ,بيروت: دار الغرب الإسلامي, 1992م, ج2.
4. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي. ط1, ج4 بيروت: دار الغرب الإسلامي,1998م.
5. أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر.(د ط), الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب, 1985م.
6. أحمد بن الطاهر منصور، الدر المرصوف في تاريخ سوف.(د ط).ج1, الجزائر: دار الهدى,(د ت).
7. أحمد توفيق المدني.كتاب الجزائر.ط2 , البليدة الجزائر:دار النشر للكتاب, 1963م.
8. أحميدة عميراوي، دور حمدان خوجة في تطر القضية الجزائرية,(1827م .
1840م),ط1,قسنطينة:دار البعث, 1407هـ/1987م.
9. بالهادف بن سالم، سوف تاريخ مجيد وثقافة أصلية. تغزوت ,الوادي: مطبعة الجمعية الثقافية, دار المعارف, أوت2002م.
10. البخاري حمانة، شهادات حول الثورة الجزائرية بمنطقة وادي سوف. مجلة دفاتر التاريخ,ع3, معهد علم الاجتماع, جامعة وهران, ديسمبر 1989م.
11. تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الوطنية, دراسة تربوية للشخصية الجزائرية (1931م
.1956م). (د ط), الجزائر:الشركة الوطنية للنشر والتوزيع,1395هـ 1975م.
12. تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس, فلسفته وجهوده في التربية والتعليم, (1900م . 1940م), الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع, 1969م.
13. جغلول عبد القادر، الاستعمار والصراعات الثقافية في الجزائر.ط1, ترجمة سليم قسطون, بيروت: دار الحداثة,1984م.
14. رابح خدوسي، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين. (د ط), الجزائر: دار الحضارة, بئر التونة,2003م.
15. الزبير سيف الإسلام، تاريخ الصحافة الجزائرية.(د ط),ج4,الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب, 1985م.

16. سعد العامرة والجيلالي العوامر .شهداء الحرب التحريرية بوادي سوف.(د ط), الجزائر: مطبعة النخلة, بوزريعة, (دت).
17. السعيد ديدي، وادي سوف كنوز من الجزائر .المطبعة العصرية, الوادي,2002م.
18. عبد القادر ميهي، المدارس القرآنية في سوف في فترة الاستعمار. الندوة الفكرية السادسة عشر محمد الأمين العمودي, دار الثقافة, 2003م.
19. عبد الكريم بو الصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى, (1931م . 1945م), (د ط), الجزائر :المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر، 1996م.
20. عمار طالبي، ابن باديس, حياته وأثاره.(دط), الجزائر: دار ومكتبة الشركة الجزائرية، 1968م, ج1.
21. عمر بن قينة، صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث.(د ط), الجزائر :ديوان المطبوعات الجامعية, 1993م.
22. محسن عبد الحميد، جمال الدين الأفغاني. المصلح المفترى عليه.ط2, بيروت: مؤسسة الرسالة, (دت).
23. محمد الحسن الفضلاء، من أعلام الإصلاح في الجزائر.(د ط) الجزائر: دار هومة, 1999م . 2000م ,ج2.
24. محمد الصالح الصديق، أعلام من المغرب العربي. (د ط), الجزائر، 2000م, ج3.
25. محمد بلقاسم خمار، الشيخ الياجوري, حياة كلها كفاح.الندوة الفكرية السابعة, محمد الأمين العمودي, دار الثقافة, الوادي,1994م.
26. محمد بن إسماعيلي، مشايخ خالدون وعلماء عاملون.ط3 ,عين مليلة, الجزائر: دار الهدى, 1421هـ -2001م.
27. محمد خير الدين، مذكرات الشيخ محمد خير الدين ومشاركته في جمعية العلماء وجبهة التحرير الوطني ومجلس الثورة الجزائرية. (د، ط), الجزائر: مطبعة دحلب, 1985م.
28. محمد رشيد رضا، تفسير المنار. ط1 ,ج2, مصر :مطبعة المنار, 1353هـ . 1934م.
29. محمد صالح الجابري: رحلات جزائرية ,ط1و بيروت, لبنان :دار الغرب الإسلامي, 2001م.
30. مختار فيلالي، نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرها في الجزائر خلال العهد العثماني,(د ط),باتنة,الجزائر :دار الفن الغرافيكي للطباعة والنشر, (د ت).
31. ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق. ط1,بيروت:دار الغرب الإسلامي,2000م.

ثالثا: الرسائل الجامعية

1. أحمد مريوش، الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية, رسالة ماجستير,1442.
2. خير الدين شترة، مساهمات جزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية من مطلع القرن العشرين إلى غاية 1939م.رسالة الماجستير في التاريخ الحديث, (2002م . 2003م).
3. محمد مرغيث، موقف الشهاب من قضايا معاصرة (1925 . 1939م).رسالة ماجستير, جامعة الأمير عبد القادر, قسنطينة, 2002م .2003م .
4. موسى بن موسى، إرهاصات الإصلاح بوادي سوف في مطلع القرن20م. الندوة الفكرية الرابعة,عبد القادر الياجوري, قمار,16 . 17 ذو القعدة 1425هـ الموافق لـ 26 . 27 ديسمبر 2004م.

رابعا: المعاجم

1. إبراهيم مياسي، جهاد الشيخ عبد العزيز, مجلة الثقافة, السنة العشرون,ع109 ,الجزائر, 1995م.
2. ابن منظور، لسان العرب.(د ط), مج2,مادة"صلح",بيروت: دار لسان العرب.
3. أبو القاسم سعد الله، مجاهد من نوع آخر.مجلة الثقافة, الجزائر,ع105.106.
4. أبو يعلى الزواوي، نحن الإصلاحيين و خصماؤنا. البصائر, ع4, 20شوال 1345هـ الموافق لـ:24 جانفي 1936م.
5. أحمد زغب، صدى الحركة الإصلاحية بوادي سوف.مجلة القباب. دار الثقافة الوادي. ع1 جوان 2004م.
6. بطاقة تعريفية، موجودة بالزاوية التجانية بقمار.
7. تلميذ الشيخ حمزة بوكوشة, أنظر: محمد الصالح رمضان, حمزة بوكوشة العالم المصلح, مجلة الثقافة, ع105.
8. حمزة بوكوشة، الشيخ الهاشمي الشريف وانتفاضة وادي سوف1918م. محاضرة منقولة ألقيت بثانوية علي ملاح بورقلة, بمناسبة الموسم الثقافي, أفريل 1987م.

خامسا: المجلات و الدوريات و المحاضرات

1. عبد الباقي مفتاح، الزاوية التيجانية بقمار.الندوة الفكرية الثانية للشيخ عبد القادر الياجوري, قمار ,09 . 11أكتوبر 2001م.
2. علي غنابزية، الشيخ حمزة بوكوشة مسيرة إصلاح. مجلة النبأ,ع26, 18سبتمبر . جانفي 1995م.
3. علي غنابزية، الشيخ عبد القادر الياجوري المصلح المجاهد.جريدة النبأ, ع222، من 25سبتمبر إلى 1أكتوبر 1995م.
4. علي غنابزية، العلامة والأديب الصحفي الشيخ حمزة بوكوشة, مجلة النبأ, ع184.
5. علي غنابزية، النشاط السياسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بوادي سوف, (1931م . 1939م), مجلة القباب, الجزائر,ع1, 2004م.
6. علي غنابزية، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بسوف, (نشاط فكري وسياسي وتجارب واسعة), جريدة الشعب، يوم السبت25جويلية 1989م.
7. علي غنابزية، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بوادي سوف.جريدة الشعب, 25جويلية 1989م.
8. علي غنابزية، مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية في القرن التاسع عشر.رسالة ماجستير,جامعة الأدب والعلوم الإنسانية, الجزائر 2000م . 2001م.
9. عمار هلال، الشيخ عبد العزيز بن محمد الهاشمي.مجلة الثقافة,ع95, الجزائر 1986م.
10. محمد رشيد رضا، المنار.ط2, مج1, سنة 1315هـ/1316هـ ,1327
11. محمد مراد سيد بركات، ابن باديس المجدد الديني والمصلح الاجتماعي. الشريعة والدراسات الإسلامية, ع30, شعبان1417 هـ . 1996م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	//
شكر وتقدير	//
خطة البحث	//
مقدمة	أ. ب . ج
المبحث التمهيدي: وادي سوف (لمحة عامة).	12 . 17
المطلب الأول: تسمية وادي سوف و موقعها الجغرافي.	12 . 13
المطلب الثاني: الأصول التاريخية لسكان وادي سوف.	14 .15
المطلب الثالث: الحياة الدينية و الثقافية بوادي سوف.	16 . 17
المبحث الأول: ظهور الحركة الإصلاحية بوادي سوف.	18 . 44
المطلب الأول: مفهوم الإصلاح.	18 .19
المطلب الثاني: عوامل نشأة الحركة الإصلاحية.	20. 27
المطلب الثالث: مظاهر الحركة الإصلاحية بالمنطقة و أثرها.	28 . 36
المطلب الرابع: جمعية العلماء المسلمين بوادي سوف.	37. 44
المبحث الثاني: أبرز أعلام الإصلاح بوادي سوف.	45 . 52
المطلب الأول: عبد القادر الياجوري.	45 . 47
المطلب الثاني: محمد الأمين العمودي.	48 . 49
المطلب الثالث: حمزة بوكوشة .	50 . 52
الخاتمة.	53 . 54
قائمة المصادر و المراجع.	55 . 58
فهرس الموضوعات	59